المتهم الصامت



مكتبة معروف

أجاثا كريستى

المتهم الصامت

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربى للنشر بالاسكندرية

معروف أخوان

الاسكندرية ـ ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦٤١٠ فاكس ـ ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة ـ ٤٠٣٤٠٤٢
ص.ب.٣٧ الاسكندرية E-mail:maarou2004@hotmail.com

كان أمر هذا المتهم عجيباً للغاية .. لقد حير الجميع وجعلهم فى ذهول شديد لغرابة مسلكه وشذوذ شخصيته ..

كان بانتظاره على محطة قطار سان فرنسيسكو حشد كبير من محررى الصحف والمصورين والفضولين الذين يتطلعون لرؤية المجرم القادم .

أخيراً وصل القطار القادم من نيويورك إلى محطة سان فرانسيسكو واشرأبت الأعناق وراح الجميع يبحثون عن المجرم .

هتف أحد الصحفين وهو يشير إلى رجلين يسيران معاً .

- ها هما .. لقد وصلا ..

كان الرجل يشير إلى رجلين طويلى القامة يتجهان نحو باب الخروج ..

فصرخ الصحفى قائلاً لزميله :

- هيا أعد آلة التصوير قبل أن يختفيا عن أبصارنا ..ثم ركضا خلف الرجلان ..

ويتبعهما عدد كبير من الأشخاص وراح الجميع يتعقبون الرجلين ويسلطون أنظارهم على أطولهما وبدأ الصحفيون يسجلون ملامحه ..

كان طوله يزيد عن ستة أقدام .

أما ملامح وجهه فقد عجزوا عن رؤيتها لأن الرجل كان يرفع ياقة معطفه فيخفى بها نصف وجهه ويخفى النصف الآخر بقبعته التى أسدلها على عينيه فبدا الرجل شديد الغموض لم يبد من بشرته سوى يديه ..

كانت يداه مشوهتين تشويهاً فظيعاً يفعل الجروح والندوب ، وفشل الجميع فى معرفة أى شئ عن ملامحه ، بل لم يعرف أحدهم ما إذا كان الرجل يطلق لحيته وشاربه أم لا ..

ورغم ذلك فقد راح المصورون يلتقطون للرجل الصور من مختلف الزاويا بينما أخذ الصحفيون يتبادلون النظرات الحائرة ..

ومن أعجب الأمور أن هذا المتهم الغامض لم ينطق بكلمة واحدة منذ تم القبض عليه ولم يحاول الدفاع عن نفسه وتبرئتها من التهمة الموجهة إليه ..

كان موقفه شديد الخطورة ورغم ذلك ظل كما هو صامتاً لا ينطق !! ..

أسرعوا الخطى يلحقوا بالمتهم والأمل يداعبهم فى سماع اعترافات الرجل للحصول على سبق صحفى ..

قال له أحد الصحفين :

ـ لماذا قتلته ؟..

وقال آخر :

ـ هل أنت .. الذى قتلته ؟..

وقال ثالث :

ـ لماذا لا تنطق ؟..

وانهالت عليه الأسئلة من كل جانب وراح الجميع يلحون عليه بالأسئلة ويستحثونه على الاجابة أو حتى النطق بحرف ،ولكن دون جدوى .

ظل وجه الرجل مختفياً تماماً وسار بخطى ثابتة بجوار رفيقه .

وعندما يئس منه الصحفيون اتجهوا إلى رفيقه وأحاطوا به وقال أحدهم :

ـ ما رأيك ياسيدى فى ذلك ؟..

كان من الواضح أن الرجل يتمتع بمنصب رفيع فى جهاز الأمن فقال بلهجة فاترة :

ـ لا فائدة من إلقاء الأسئلة فإنه لن ينطق بحرف ..

وقال آخر :

ـ ألم يتحدث معك ياسيدى خلال الطريق ؟..

قال الضابط :

ـ كلا .. اننى كمن يصطحب إنساناً آلياً تماماً ..

وقال صحفى خفيف الظل للمتهم :

ـ ما هذا يا صديقى .. ألا تقول شيئاً أبداً ؟ أى شئ حتى لا تشعر بالملل من طول الصمت ؟ .

كان المتهم قد أخرج منديلاً كبيراً أخفى به باقى أجزاء وجهه حتى لايبدو منه شئ على الإطلاق ..

فنظر إليه الضابط وهم بالحديث ولكن الكلمات توقفت على شفتيه عندما وقع بصره على يد المتهم البشعة فارتعد جسده ..

قال لنفسه :

ـ يا إلهى .. إن منظرها بشع .. رهيب .. إنها تبدو كيد شبح مخيف ولا تشبه أيدى الأحياء فى شئ ..

كانت يد المتهم مشوهة تشويهاً فظيعاً وتكاد عظامها تبرز من تحت جلدها ..

ثم قال للصحفيين :

ـ ألم أقل لكم انه لن يتكلم ؟..

فقال الصحفى خفيف الظل :

ـ لماذا لن يتكلم ؟ هل هو أخرس أم أبله ؟..

قال الضابط بامتعاض :

ـ لا أعرف ..

قال آخر بدهشة :

ـ ماذا تقول ؟ ألم ينطق بحرف خلال رحلتكما الطويلة من الشرق إلى الغرب ؟ انها رحلة استغرقت ساعات طويلة ؟

راح الصحفيون يتبادلون النظرات الحائرة وبدا أن اليأس تملكهم في النهاية فراحوا يراقبون المتهم وهو يستقل سيارة أجرة مع الضابط الكبير ..

وهكذا ابتعد المتهم دون أن يعرف أحد عنه شيئاً ..

* * * *

تم إيداع الرجل السجن وكان محافظ السجن قد سمع الكثير عن هذا المتهم العجيب وعن صمته الدائم ورفضه الكلام مهما كانت المغريات .. حاول استدراجه وحثه على الكلام بشتى الطرق دون جدوى .. لوح له بالتهديد والوعيد وذكر له عاقبة صمته وأنه سوف يتحمل عبء الجريمة بلاريب ورغم ذلك فلم يفتح الرجل فمه ولم ينطق بكلمة واحدة حتى ظن المحافظ مثل الآخرين أن الرجل أخرس أو أبله ..

وكما يحدث فى جميع القضايا تم انتداب محام يتولى مسئولية الدفاع عن المتهم أمام المحكمة حين النظر فى القضية ..

ومن الطبيعى أن المحامى قد سمع الكثير عن سلوك المتهم الصامت غريب الأطوار ورفضه التام النطق بحرف ولكن ذلك لم يفت فى عضده وكان مليئاً بالأمل فى النجاح وتحقيق ما فشل الآخرون فيه وهو الفوز بحديث مع المتهم ..

لقد أصبح سماع صوت الرجل أمنية غالية للجميع ..

ذهب المحامى إلى محافظ السجن وقال له بعد أن قدم إليه أوراقه ومستنداته :

- إننى أدعى فلمنج وقد جئت بخصوص المتهم كما هو واضح فى الأوراق ..

قال المحافظ بقنوط :

- اننى أشك فى إمكانية حصولك على كلمة من هذا الرجل العجيب الذى لم أصادف مثله طيلة فترة عملى ..

قال فلمنج بنبرة التفاؤل :

- ربما نجحت يا سيدى .. من يدرى ؟.

نظر إليه محافظ السجن باستخفاف وقال :

- ماذا ستفعل ؟ لقد سلكنا جميع الطرق لحمله على الكلام دون جدوى ما عدا التنويم المغناطيسى والسحر .. فهل لديك علم بتلك الطرق ..

ضحك المحامى بجزل وقال :

- كلا بالطبع ، ولكن لا مانع من المحاولة ..

- بلاشك .. هيا بنا ..

ذهب به المحافظ إلى زنزانة المتهم ثم أمر الحارس بفتح الباب وبعد أن دخل فلمنج أغلق الباب مرة أخرى ..

وقف المحامى أمام المتهم وراح يتفرس فى وجهه المخيف قليلاً فسرت الرعدة فى جسده ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال بلهجة رقيقة :

- اننى أدعى فلمنج وقد تم انتدابى للدفاع عنك ..

لم يرفع الرجل رأسه ولم يحفل بالنظر إليه ..

فاستطرد المحامى بصوت رقيق :

- لقد جئت للدفاع عنك وحمايتك فأرجو أن تتعاون معى حتى يمكننى مساعدتك وإلا فماذا يمكننى أن أفعل ؟..

انتظر المحامى إجابة أو إيماءة من الرجل دون جدوى فاستطرد قائلاً .

- ان موقفك بالغ الخطورة ، ويعتقد أنك لم تقتل الدكتور تالبوت فقط بل إنك كنت تبتز أمواله بالتهديد خلال الفترة التى سبقت مقتله وتوجد بعض الأدلة على ذلك ، فإذا صحت هذه الاتهامات فلاشك أنك تعرف من أسرار الدكتور ما كان يخشاه ..

فما هى تلك الأسرار التى كنت تهدده بإفشائها ..

عمد المحامى إلى الصمت وهو يتأمل ملامح المتهم ولما لم ينطق قال :

ـ كان الجميع يحترمون الدكتور تالبوت ويقدرونه ويثقون به ، ومن المؤكد أنه وقع فى خطأ فاحش أو أقدم على عمل شائن عرفته أنت وكنت تهدده بإفشاء السر ..

فما هو هذا العمل ؟ ولماذا كان الدكتور تالبوت حريصاً على إخفائه ؟..

راح المحامى يلح على المتهم ويبين له عاقبة الصمت دون جدوى فقال بحدة :

ـ لا فائدة من الدفاع عنك ،وعليك أن تتحمل عاقبة ذلك .. ان المحلفين يرون أنك مذنب ومالم تتكلم فلا أمل فى إنقاذك من حبل المشنقة ..

استدار المحامى وطرق الباب ثم انصرف من الزنزانة بينما ظل المتهم واقفاً كالتمثال الحجرى .. لم يتحرك له هدب ولكنه كان يسمع وقع خطوات المحامى على الأرض الصلبة وراح يستعيد فى ذهنه كلمات المحامى :

(كان الجميع يحترمون الدكتور تالبوت ويقدرونه ويثقون به) ..

ان الجميع لا يعرفون عنه إلا ما يوحى بالثقة والأحترام ..

ولكن هل كان الدكتور تالبوت يستحق كل هذا الأحترام ؟..

انهم لا يعرفون ما الذى اقترفه الدكتور تالبوت وكان يخفيه عنهم ! ..

وان قصته لمن أعجب القصص التى لا يصدقها العقل ..

* * * *

كان الدكتور ريتشارد تالبوت يعيش حياة هانئة سعيدة وسط أسرته الصغيرة التى يحب أفرادها حباً ملك عليه حياته ..

كانت زوجته جميلة هادئة شديدة الذكاء تعمل على تهيئة الجو المناسب فى المنزل ولا تحمله أية متاعب لا داعى لها ..

فى ذلك الصباح كان الدكتور تالبوت جالساً إلى مائدة الإفطار ..

كان من الواضح أنه صباح مشرق حيث تسللت أشعة الشمس من النافذة وغمرت بضيائها قاعة الطعام الرحبة فجعلتها تبدو بهيجة مشرقة وانعكس ضوؤها على شعر ابنه الحبيب جريج (جريجورى) ..

كان الأبن فى تلك اللحظة منحنياً على طعامه فراح الدكتور يتأمل ملامحه الجميلة ووجهه الوسيم ونظراته التى تدل على حدة الذكاء ..

وبجوار جريج كان مقعد ابنته الرقيقة بونى (بونيتا) وهى كالزهرة الندية التى زادتها أشعة الشمس جمالاً وإشراقاً وتألقاَ وكانوا يجلسون فى انتظارها ..

ظل يتأمل اللوحة الطبيعية النابضة بالحياة أمامه ولم يفته ملاحظة ما قامت به زوجته لوسى من حسن اختيار للأثاث وتنسيق الزهور ووضع التحف الأنيقة واللوحات الرائعة فى أفضل الأماكن ..

قال لنفسه :

- انها امرأة رائعة الذوق حقاً .. ان كل ما تفعله يدل على ذلك ..

كما كان اختيارها لثيابها يؤكد كل هذه الحقائق . الواضحة ، فبدا هائماً فى حب زوجته عاشقاً لجمالها ولذوقها ..

وجد متعة كبرى فى النظر إلى وجهها فبدا كالعاشق الولهان الـذى يبـادل حبيبتـه النظرات ولا يمل من النظر إليها ..

قال لنفسه :

- لست أدرى ماذا كنت أفعل بدون وجودها بجوارى ولا أتخيل طعم الحيـاة بـدون لوسى الحبيبة ..

فاض قلبه بمشاعر الحب والتقدير لزوجته الحبيبة وراح يتصورها فى أجمل صـورة ولكنه انتبه فجأة إلى شئ أزعجه ..

كيف لم يلاحظ ذلك منذ أن وقع بصره عليها لأول مرة فى الصباح ؟.

لمح على جبينها خطوطا دقيقة للغاية مما يدل على الإرهاق ..

كلا .. يجب ألا ترهق نفسها فى أعمال المنزل وألا تتحمـل كافـة الأعبـاء .. إزداد تقديراً لها لما لمسه من إخلاصها وبراعتها وحسن تقديرها لكل الأمور ولكنه فـى نفس الوقت شعر بالأسف والحزن من أجلها ..

بدا الحزن فى نظراته وشعرت زوجته بذلك فابتسمت تلك الابتـسامة الرائعـة ، وأدرك ريتشارد تالبوت أن لوسى الرائعة تقرأ أفكاره وتفكر فيه كما يفكـر فيهـا بدوره .. إنها تعتنى بكل شئ فى البيت ولا تهمل صغيرة ولا كبيرة ..

أما عنايتها بأبنائها وإهتمامهـا بـشئونهم فقـد فاقـت الحـد ، ولـذلك فقـد صـار الصغيران يتميزان عن أقرانهما وكان من حق لوسى ان تفخر بهما ..

إن أبنها جريج تخطى مرحلة الطفولة وهو يتقدم نحو الشباب وقـد اشـتد جـسده وحسن خلقه وحقق التفوق فى الدراسة وفى الرياضة أيضاً ولذلك فـإن زمـلاءه يقدرونه ويحترمونه لما يتميز به من صفات رائعة ..

وكان الفتى متواضعاً مهذباً لم يصبه الغرور نتيجة النجاحات الكثيرة التى حققها فى بداية حياته ..

قال الدكتور تالبوت لنفسه :

ـ ياله من ابن رائع حقاً ..

ورغم ذلك فقد تذكر الأب بعض نواحى القصور فى أبنه الحبيب جريج .. فما من أحد يخلو من هذه النواحى ..

كان الفتى لا يميل إلى الضحك والمرح كمن هم فى مثل سنه من الفتيان فى سن الرابعة عشرة ..

أما بونى فكانت قريبة إلى قلبه كثيراً وكانا يشعران أن بينهما تفاهماً روحياً وثيقاً فى كل الأمور ، ولكنه رغم ذلك لم يؤثر الفتاة بحبه ورعايته ..

كان فى تلك الحظات يشعر بالرضا عن نفسه والارتياح بين أفراد أسرته الحبيبه ويتمنى أن تسير الأمور على ما يرام ولا يحدث ما يعكر صفو الأسرة ..

فهل تحقق الأيام أمنيته ؟..

أفاق على صوت زوجته وهى تقول له :

ـ لست أدرى لماذا تتأخر بونى عن مواعيدها هكذا ؟.

غمغم جريج بعينه وقال :

ـ هل تريدين أن تنتظم فى مواعيدها ؟..

ـ بالطبع ..

ـ عليك برفع جميع المرايا من غرفتها فهى التى تستهلك معظم وقتها ..

ضحكت الأم ضحكة عذبة وقالت :

ـ معك حق يا جريج ..يبدو أننا لم نعد نتعامل مع بونى الصغيرة بل نتعامل مع فتاة حسنه غيرها ..

وقال الدكتور تالبوت :

ـ معك حق ، فقد كبرت الفتاة ويبدو أنها بدأت تشعر بما حبته بها الطبيعة من

جمال ولاشك أنها تريد إبراز هذا الجمال ..

هزت لوسى رأسها وعبرت عيناها عن الحب الشديد بينما استطرد تالبوت قائلاً:

ـ أعتقد أنه ما من فتاة لا تفكر فى أمر جمالها ولا تنشغل به فى كل أوقاتها ، ولذلك تقضى الساعات فى التجميل ..

إن كل هذا شئ طبيعى ولابد أن نتحمل بونى العزيزة ..

كان من الواضح أن الرجل على استعداد دائم للدفاع عن ابنته ولا يقبل توجيه أى نقد إليها ..

بعد قليل أقبلت بونى بعد أن انتهت من زينتها ..

راح والدها يتأملها فأدرك انها تخطو نحو الشباب وتبدو رشيقة فى مشيتها أنيقة فى ثيابها .. جميلة الوجه .. زرقاء العينين ..

عبرت قاعة الطعام فى خفة ورشاقة واتجهت إلى النافذة ففتحتها على مصراعيها ليتدفق الضوء إلى القاعة وتغمرها أشعة الشمس الرائعة ..

وقفت الفتاة أمام النافذة وراحت تتنفس ثم قالت :

ـ طاب صباحكم جميعاً ..

ردوا الجميع التحية فقالت :

ـ ما رأيكم فى هذا الجو الرائع ؟ من المؤكد أن أحداً منكم لم يلاحظ انه الربيع قد أقبل بجماله وروعته ..لقد أورقت الأشجار وتفتحت الأزهار وبدا كل شئ جميلاً رائعاً .. ألا تشعرون بشئ ..

غمغم جريج قائلاً ..

ـ إننى أشعر بتيار بارد من الهواء ..

وضعت مسز تالبوت الطعام أمام ابنتها وقالت لها :

ـ أرجو أن تغلقى النافذة يا عزيزتى وهيا إلى الطعام ..

تنهدت بونيتا وقالت :

ـ لست أدرى لم لا يفهمنى أحد فى هذا البيت ؟ لقد تأخرت بضع دقائق على تناول الإفطار فما الذى حدث ؟..اننى أراكم جميعاً غاضبين ..

قالت الأم :

ـ لا داعى لهذا الكلام يا بونى ..

راح الدكتور تالبوت يتأمل جمال ابنته ثم قال :

ـ انك اليوم رائعة الجمال يا بونى ، بل إنها المرة الأولى التى أراك فيها بمثل هذا الجمال ..

معك حق ياعزيزتى .. لقد كنا أغبياء عندما فاتنا ملاحظة الزهور بعد أن تفتحت وصارت رائعة ..

فقاطعته زوجته قائلة :

ـ كفى ياريتشارد .. سوف تفسد الفتاة بتدليلك الزائد لها ، يجب أن تتعلم كيف تحافظ على النظام وتحرص على المواعيد ..

قال الدكتور تالبوت :

ـ وما الذى حدث عندما تأخرت بضع دقائق ؟..

قال جريج :

ـ إنها دائماً تتأخر هكذا .

وقالت مسز تالبوت :

ـ ليست المسألة بضع دقائق تأخرتها .. كلا .. فقد اعتادت بونى على التأخير عن كافة المواعيد ، وهذا مالا أسمح به أبداً ، فقد تعلمت منذ طفولتى الألتزام التام بالمواعيد وكان أبى يحرص أشد الحرص على ذلك ..

وعلى الفور قال الدكتور تالبوت :

ـ أبوك إنه كان ..

ولكنه بتر عبارته بسرعة وأدرك الخطأ الذى كاد يتردى فيه وقال :

ـ لقد كان أبوك رجلاً صارماً ..

فقالت وهى مقطبة الجبين :

ـ ربما ولكن كان قوى الشخصية يعرف جيداً كيف يحترم المواعيد والإلتزامات ولذلك نجح فى الحياة وأنت أيضاً ياريتشارد .. إنك تقدس المواعيد .

فضحك ريتشارد وقال :

ـ إننى طبيب ولكن بونى لا تريد أن تصبح طبيبة ..

قالت لوسى بضيق ..

ـ قلت لك ان احترام المواعيد هو أهم شئ ، فيجب أن يتعود الإنسان على النظام لأنه إذا تعود الإهمال فى الأشيله الصغيرة فلن يلبث حتى يهمل كل شئ ..

اقتنع ريتشارد برأى زوجته فنظر إلى بونى نظرة صارمة وقال لها :

ـ بونى .. إن أمك على حق فى كل ما قالت ، فأرجو منك أحترام المواعيد دائماً حتى لاتصبح عادة لديك التأخير على المواعيد ..

تطلعت الفتاة إلى أبيها وأدركت ما الذى دفعه لأن يقول ذلك .. إنه يحاول فقط إرضاء أمها ..

كانت الفتاة تفهم والدها جيداً وتدرك ما يريد أن يقول دون الحاجة ليبوح به ، وبعد قليل اختلست نظرة إلى وجه أبيها فوجدته بدوره ينظر إليها خلسة فتبادلا ضحكة سريعة وانصرفا إلى تناول الطعام ..

بعد أن انتهى ريتشارد تالبوت من تناول الطعام وتهيأ للقيام أسرعت لوسى إلى قبعته ومعطفه وساعدته فى إردائهما ثم قالت :

ـ سوف ننتظرك كالعادة فى الساعة السابعة .لاتنسى ذلك ..

فقال بلهجة آلية :

- بالطبع .. لن أنسى يا لوسى ..

قال لنفسه :

- من العجيب انها تكرر نفس العبارة على مسامعى كل صباح رغم اننى لم أتأخر مرة واحدة عن موعدى ولم أعلن لها عزمى على التأخير ..

قالت لوسى :

- لاداعى للتأخير الليلة بالذات ..

نظر إليها بدهشة وقال متسائلاً :

- لكن ماذا سيحدث الليلة ؟..

هتفت قائلة :

- ريتشارد .. هل نسيت بمثل هذه السرعة ؟ ألا تذكر ماذا ستفعل اليوم؟ عبرت نظراته عن الحيرة وراح يسأل نفسه :

- ترى ما هى المناسبة الليلة ؟..

وأنقذته زوجته من الحيرة عندما قالت :

- سوف نذهب لتلبية دعوة آل مورجان لتناول العشاء لديهم ..

هتف قائلاً :

- نعم .. وكيف أنسى ذلك ؟ سوف أكون هنا فى تمام السابعة ..

إتجه إلى الباب فرافقته لوسى ..

عندما فتح الباب انعكست عليه أشعة الشمس الرائعة فقال :

- كانت بونى على حق عندما قالت أن الجو اليوم رائع .. ألا ترين ذلك يا لوسى ؟..

قالت لوسى بلاإكتراث :

- نعم .. نعم إنه جميل ..

ـ أعتقد أنه سيكون رائعاً بالجبال ..

وتذكر شيئاً هاماً فعاد إليها قائلاً :

ـ لوسى .. مارأيك هل نذهب إلى الكوخ لقضاء عطلة نهاية الاسبوع ؟

قالت على الفور :

ـ كلا .. لن يمكننى ذلك لأننى سوف أذهب مع الأولاد لزيارة أمى ولا أستطيع تأجيل الزيارة ..

فغمغم قائلاً :

ـ حسناً ..

شعر الدكتور ريتشارد تالبوت ببعض الضيق وراح يتساءل :

ـ لست أفهم لماذا لا تتخلى لوسى عن هذا النظام الصارم الذى تحرص عليه حرصاً شديداً ؟ إن هذا شئ يبعث على الملل ..

كان يتطلع لقضاء وقت ممتع فى الكوخ بين الأشجار المورقة والأزهار المتفتحة فى هذا الوقت من السنة ، وراح يتخيل الجمال المحيط بالكوخ ويتحسر على عدم قضاء عطلة نهاية الاسبوع هناك ..

إن أجمل المناسبات التى يجب الأحتفال بها فى الكوخ هى مقدم الربيع ، فمن المؤكد أن الحديقة أصبحت الآن فتنة للناظرين ..

قالت له لوسى وكأنها قرأت ما يدور بذهنه :

ـ كما أن وقتك الآن مشحون بالمشاغل والأعمال خاصة إعداد رسالتك إلى الجمعية الطبية ..

هل بدأت فى إعداد الرسالة يا ريتشارد ؟..

شعر بأنها صبت برميلاً من الماء البارد فوق رأسه فقال :

ـ كلا .. لم أبدأ بعد ..

لقد تحدثت لوسى كعادتها بطريقتها العملية الجافة وذكرته بما يجب عليه ولكنها نسيت أشياء هامة للغاية ..

إن جريج وبونى يتوقان للذهاب إلي الكوخ للإستمتاع بالجو الرائع هناك .. وتخيل بونى وهى تركض خلف الفراشات عندما كانت طفلة صغيرة ثم إنطلاقها عبر الحديقة الرائعة وهى تبدو كالزهرة المتفتحة ..

كما تخيل جريج الذى يعشق صيد السمك ويحب الذهاب إلى الكوخ كثيراً .

لقد تجاهلت لوسى كل ذلك ..

إنها لا تهتم بغير العمل أو الدراسة وتتجاهل كل ماعدا ذلك ، بل إنها هى نفسها لابد وأن تكون فى أشد الحاجة للراحة والانطلاق ولكنها لا تريد أن تخالف النظام الصارم الذى وضعته للجميع ..

ورأى ريتشارد أن يحاول القيام بمحاولة جديدة لإقناع زوجته فقال لها :

- ولكن يالوسى مارأيك فى أن ..

رن جرس التليفون فجأة فتوقف ريتشارد عن الكلام بينما اتجهت زوجته إلى التليفون ورفعت السماعة ..

فاضطر تالبوت للإنصراف إلى عمله ..

استقل سيارته وراح يفكر فى أمر هذا الكوخ الذى اشتراه فى العام الماضى ولكنه أحداً منهم لم يشاهده ..

كان واثقاً أنهم سوف يستمتعون بالإقامة فيه ..

إنه يتمنى لو يشاهدونه لمرة واحدة ، لأنهم إذا فعلوا فسوف يحبونه قطعاً ولكن لا داعى للقلق فمازال فصل الربيع طويلاً ..

كان يسير بسيارته فى شوراع سان فرنسيسكو وهو يفكر فى الأستمتاع بالجو الرائع وخطرت له فكرة ..

إن بإمكانه الاستمتاع بهذا اليوم الرائع دون أن يذهب إلى الكوخ ودون أن يغادر سان فرانسيسكو فالأمر يسير ..

انحرف بالسيارة إلى داخل المتنزهات العامة وراح يدور بين الأشجار الوارفة ويستمتع بمنظر الأزهار المتفتحة والخضرة اليانعة التى تبهج الأبصار ..

استمر فى جولة بضع دقائق وهو يشعر بالسعادة ولكنه فجأة تذكر عمله ..

نظر فى ساعته فوجدها تجاوزت التاسعة بثلاث دقائق فهز كتفيه وقال لنفسه :

ـ مازال أمامى متسعاً من الوقت ..

وتذكر حرص زوجته البالغ على الألتزام بالمواعيد ومبالغتها فى ذلك إلى الحد الذى يسبب الضيق للآخرين ..

* * * *

وصل إلى العيادة فوجد أحد مرضاه وكان يدعى مستر بيلى فحياه ثم اصطحبه معه إلى حجرة الكشف وقال له :

ـ هل تأخرت عليك يا مستر بيلى ؟..

قال الرجل مجاملاً :

ـ كلا يا دكتور تالبوت .. إنها دقائق قليلة فقط ..

وبعد أن انتهى من الفحص جلس لتدوين ملاحظاته ومقارنتها بالملاحظات السابقة ثم أودعها الملف الخاص بالمريض ..

كان المريض قد انتهى من إرتداء ثيابه ولحق به وقال :

ـ حسناً يا دكتور تالبوت .. ما رأيك الآن ؟..

وقبل أن يجيب ريتشارد تالبوت فتح باب غرفته ودخل زميله الشاب موريان وهتف قائلاً :

ـ طاب صباحك ياريتشارد ..

نظر إليه ريتشارد بغيظ وهو يتطلع إلى ساعته .. لقد وصل موريان متأخراً أكثر من خمس وأربعين دقيقة ، ولو أنه لم يحضر لانصرف المريض يأساً من حضوره ..

قال لنفسه :

ـ إذا كنت قد سمحت لنفسى بالتأخير خمس دقائق إلا أننى لا أتهاون فى التأخير لأكثر من ذلك ..

كان من الواضح أن زميله موريان يستغل حضوره فى موعده للتأخر عن الحضور كل يوم وشعر بالضيق لذلك فقال له باقتضاب :

ـ طاب صباحك يا دكتور ..

ولكن موريان تجاهل جفاء زميله وتناول ملف المريض يطالعه بسرعة بينما قال الدكتور تالبوت لمستر بيلى :

ـ مستر بيلى .. إن الحالة لم تتحسن كثيراً للأسف ، فقد كنا نأمل أن يكون التحسن أكثر من ذلك ، ويبدو أنك لم تحرص على الراحة كما نصحت لك ، فأرجو ألا تبذل أى مجهود خلال الأيام القادمة سواء مجهود بدنى أم ذهنى .

قال الرجل مستسلماً :

ـ سوف أفعل ياسيدى ..اننى أشعر بتدهور حالتى كثيراً ..

قال الدكتور تالبوت :

ـ لاداعى للقلق واذا ما شعرت ببوادر الأزمة عليك المبادرة بالإتصال بنا فوراً ..

ـ سوف أفعل ياسيدى ..

وتذكر تالبوت شيئاً .. أن بيلى يقيم وحده فقال له :

ـ مستر بيلى ألا يمكنك أن تنتقل للإقامة مع أحد أقاربك ؟..

قال الرجل متردداً :

ـ ولكننى للأسف لا أذكر منهم أحداً .. ولكن لماذا ؟..

ـ حتى نشعر بالاطمئنان عليك ..

قال الرجل بأسى :

ـ يبدو أنك تريد الاطمئنان عما إذا كنت حياً أم ميتـاً فـى هـذه المدينـة العظيمـة الاتساع التى يموت فيها المرء دون أن يشعر به أحد ..

شعرتالبوت بالحزن من أجل الرجل بينما قال له موريان وهو يغادر الحجرة :

ـ أرجو أن تهتم بنفسك يا مستر بيلى ..

ابتسم الرجل ابتسامة حزينة وأنصرف ..

* * * *

١

كما بدأ اليوم بداية غير عادية وكان صحواً مشرقاً يختلف عما سبقه من أيام تلبدت فيها السماء بالغيوم وهطلت فيها الثلوج بغرازة ، فقد انتهى نهاية غير عادية أيضاً ..

كانت كل الأيام التى تمر بالدكتور ريتشارد تالبوت أياما عادية تماماً لا تحمل فى أحداثها الكثير من الإثارة ..

المرضي يتتابعون على العيادة ومعظمهم من زبائنه القدامى الذين يعرفهم ويتابع حالاتهم منذ سنوات ، وربما دخل العيادة بعض الذين قدموا لأول مرة بعد أن سمعوا عن براعته ودقته ، وقد أصبح ذلك أيضاً من الأشياء العادية التى تحدث مرة أو مرتين فى الأسبوع دون أن تعنى الكثير ..

كانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف مساء وانصرف كل الأطباء من عيادتهم عدا الدكتور تالبوت الذى كان ما يزال يعمل بعيادته ..

انتهى من الكشف على مرضاه وراح يقوم بتنظيم أوراقه وتطهير أدواته كما يفعل كل يوم وقد تأخر عن موعد انصرافه لمدة عشر دقائق حتي يعوض التأخير فى الصباح .. إنه رجل دقيق للغاية ..

وفجأة سمع صوت فرامل قوية لسيارة فى الشارع أعقبته صرخة حادة ثم صفير شرطى المرور وصيحات كثيرة من هنا وهناك فهرع إلى النافذة ليرى ما حدث ..

رأى زحاماً شديداً بالقرب من العيادة حيث توقفت السيارات وتجمع الناس أمام إحداها وتركزت أبصارهم تحت أقدامهم ففهم ما حدث وحمل حقيبته وإنطلق يركض خارجاً من العيادة ..

وجد الشرطى يقوم بتدوين ملاحظاته وهو يتحدث إلى رجل يرتدى ثياب سائقى السيارات وعلى الأرض رقدت فتاة على الأرض وهى غائبة عن الوعى ..

وما كادوا يلمحون الدكتور تالبوت بمعطفه الأبيض حتى أوسعوا له الطريق وقام الشرطى بإبعادهم حتى يتيح له الفرصة لفحص الفتاة .. جثا الطبيب إلى جوار الفتاة وبدأ يجس نبضها فوجدها فى حالة طيبة ثم راح يتحقق من سلامة عظامها ..

وبعد أن أنتهى قال للشرطى :

- من الأفضل أن يتم حملها إلى عيادتى .. أرجو الحرص فى حملها ..

تعاون كل من الشرطى والسائق فى حمل الفتاة بينما تقدمهم الدكتور تالبوت إلى العيادة بسرعة ..

أشار إليهما تالبوت أن يتركا الفتاة فوق منضدة الفحص أسفل الأضواء القوية ثم طلب منهما الانتظار بالخارج حتى يتمكن من فحصها ..

راح يفحصها بدقة مع الحرص على السرعة حتى يتمكن من إنقاذها من الاصابات غير الظاهرة كالنزيف الداخلى مثلاً ..

بعد دقائق قليلة تبين سلامة جسدها وأن إصابتها لا تتجاوز بعض الرضوض البسيطة فى ساقها ولا حاجة به لأن ينقلها إلى المستشفى ..

شرع الدكتور تالبوت يعالج ساق الفتاة بعناية عندما أفاقت من غشيتها وأخذت تتطلع حولها باستغراب وأخيراً راحت ترنو إليه بدهشة ..

كان منصرفاً للعناية بساقها الجريحة فلم يشعر بنظراتها فى البداية ولكن حركة جسدها لفتت نظره إليها .. وجدها تنظر إليه بعينيها الجميلتين .

ولأول مرة يتحقق من وجهها حيث كان كل اهتمامه منصباً على العناية بها والتحقق من عدم إصابتها إصابة خطيرة ..

وجدها رائعة الجمال .. شديدة الفتنة .. شعرها ذهبى مسترسل وعيناها زرقاوان

ساحرتان ..

من الواضح أنها تشعر بجمالها وتزهو بفتنتها ..

لاحظ كذلك أن ثيابها شديدة الأناقة بدرجة تفوق ماراه من معظم النساء ..

كانت الفتاة مختلفة تماماً عن كل من رآهن ..

شعر بمتعة كبيرة وهو يراقب عودتها التدريجية إلى وعيها ، وكان يشعر بالسعادة لمبادرته بإنقاذ هذا الجمال الرائع .. قال لنفسه :

ـ يا إلهى .. من كان يتصور أن هذه الفتاة الساحرة كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت ؟ فلو كانت السيارة أسرع من ذلك قليلاً لدهمتها ..

وطرد عن ذهنه تلك الفكرة ،ولمح على وجهها ابتسامة تحمل كل معانى الرضا والارتياح ولم يدر لماذا تخيل انه المقصود بالابتسامة ؟..

أفاقت الفتاة من غشيتها تماماً واستوت جالسة وفجأة نظرت إلى معصمها وهتفت قائلة :

ـ أين ذهب سوارى ؟

أخرج الدكتور تالبوت السوار من جيبه وقال لها بهدوء :

ـ لا داعى للقلق يافتاتى ..ها هو السوار ..

فقالت بصوتها الجميل :

ـ هل أنا الآن ميتة أم لا ؟..

راحت تتحسس كل جسدها وقد بدت علامات الألم على وجهها ثم قالت :

ـ يا إلهى .. إن جسدى كله يؤلمنى ولا أصدق أنني نجوت من الموت ..

قال الدكتور تالبوت برقة :

ـ إنك بخير ولم يصبك إلا بعض الرضوض فقط ..

راحت الفتاة تتحسس مفاصلها مرة أخرى ثم ابتسمت وقالت :

ـ أخشى أن أكون قد تركت ذراعاً أو ساقاً فى الشارع !..

قال الدكتور تالبوت :

ـ لاداعى للقلق ، من الواضح حتى الآن أنك مصابة بكدمة شديدة فوق الركبة وبعض الرضوض البسيطة فى الساق ، وأتمنى ألا تزيد الاصابات عن ذلك وألا تكون هناك اصابات غير ظاهرة ..

تأملت الفتاة الاصابة بركبتها وقال بضيق :

ـ إن منظرها سئ للغاية ..

ـ سوف يتحسن منظرها بسرعة .. أرجو أن تسترخى تماماً حتى أضمد لك الجرح ..

وبعد أن انتهى من تضميد الجرح راح يفحص باقى جسدها ويسألها عما إذا كانت تشعر بالألم ولكنها نفت ذلك ..

فحص رأسها وعينيها ويديها وسألها :

ـ هل تشعرين بآلام فى ذراعيك ؟

ـ كلا ..

وبينما هو يواصل الفحص قالت برقة :

ـ ما رأيك يا دكتور .. هل سأعيش ؟

نظر إليها بجدية ولم يدرك أنها تداعبه وقال بلهجة آلية :

ـ آه .. بالطبع .. سوف تشفى إصابتك بسرعة ولكن أرجو أن .. فقاطعته قائلة :

ـ لماذا أنت متجهم هكذا ؟..

وقبل أن ينطق سمع صوت الرجلين خارج الحجرة وهما يتجادلان ويتناقشان بحدة كان أحدهما يقول للآخر :

ـ إنه حادث عارض لا يد لى فيه ولا يمكنك أن تأمر باعتقالى وهناك شهود كثيرون على ذلك ..

قال الآخر بلهجة رصينة :

ـ سوف نعرف كل شئ حالاً فأرجو أن تلزم الهدوء التام ..

ولكن السائق صرخ قائلاً :

ـ إياك أن تحاول إلصاق التهمة بى ..

فأمره الشرطى بالتزام الصمت حتى ينتهى الطبيب من فحص الفتاة ..

قالت الفتاة للدكتور تالبوت وهى تشير إلى الباب :

ـ ما هذا ؟..

قال الدكتور :

ـ إنه السائق الذى صدمك بسيارته والشرطى ولابد من الحصول على أقوالك فمارأيك ؟ هل يمكنك الإجابة على الأسئلة الآن أم ننتظر قليلاً ؟

قالت الفتاة : فليحضر الآن .. لا مانع لدى من الحديث ..

ولكنه تذكر أنه لم ينته من فحصها فقال :

ـ ولكننى لم أنته من عملى بعد ولابد من تضميد باقى الجروح ..

ـ يمكنك أن تفعل بعد ذلك .. أرجو أن تستدعيهما ..

خرج الطبيب من الغرفة وعاد بعد قليل وهو يصطحب معه الشرطى والسائق ..

كان الشرطى قد أعد دفتر مذكراته للكتابة قبل أن يقول للفتاة :

ـ كيف حالك الآن يا آنسة ؟

قالت الفتاة بهدوء :

ـ إن الدكتور على وشك الإنتهاء من فحصى الآن ..

فاندفع السائق قائلاً وقد تشجع بما يبدو على الفتاة من علامات الصحة والقوة :

ـ إنها بخير يا سيدى .. يمكنك أن تعرف منها .. فهى التي اندفعت بسرعة للمرور من أمام سيارتى .. أرجو ياسيدتى أن تذكرى له الحقيقة حتى لا ..

فقاطعه الشرطى قائلاً :

ـ ألا تعرف كيف تلزم الصمت حتى انتهى من عملى ..

قال الشرطى للفتاة :

ـ لابد أن أقدم تقريراً عن الحادث فى جميع الأحوال .. ما اسمك ؟..

ـ نورا برنتيس ..

خفق قلب الدكتور تالبوت وهو يسمع الاسم الجميل بينما قال الشرطى :

ـ أين تقيمين ! ..

تطلعت الفتاة نحو تالبوت كأنها ترى مدى تأثير كلماتها عليه وقالت :

ـ أقيم فى عمارات جولدن جيت فى هذا الشارع فى الجهة المقابلة ..

ـ ماذا تعملين ؟..

ترددت لحظة قبل أن تقول :

ـ أعمل مغنية فى إحدى الملاهى ..

قال الشرطى بطريقة آلية :

ـ هل تطالبين بالحصول على أى تعويض ؟

ثار غضب السائق واندفع قائلاً :

ـ ماذا تقول ؟ وعلام التعويض ؟ ألا ترى أنها بخير كما قال الدكتور .. لقد قال إنها لم تصب بأى سوء ..

قالت الفتاة بلهجة حازمة للشرطى :

ـ أرجو أن تدع السائق المسكين لأنه لم يرتكب أى خطأ .. إننى أنا المخطئة يا سيدى ..

نظر السائق للشرطى وعلي وجهه دلائل الانتصار وقال :

ـ هل سمعت ما قالت ؟

ثم نظر إلي الفتاة بامتنان وقال لها :

ـ أشكرك ياسيدتى .. إنك حقاً إنسانة رائعة لا ترضين بالظلم ..

لم يجد الشرطى بداً من الإنصراف هو والسائق بعد أن شكر كل منهما الدكتور تالبوت .. وبعد انصرافهما قالت نوار بدلال :

ـ من الواضح ان السائق معجب بشجاعتى ..

شعر الدكتور تالبوت بالحيرة أمام الفتاة .. انه لا يريد أن يبدو أمامها فى صورة الطبيب الجاد المتجهم الوجه كما اتهمته منذ قليل ،ولكنه فى نفس الوقت لايعرف ماذا يقول لها .. استبدت به الحيرة فوجد نفسه يتناول لفافة قطن ويقول لها :

ـ فلنعالج باقى الجروح أولاً ..

قالت بسرعة :

ـ آه .. طبعاً .. لقد كدنا ننسى ذلك حقاً ..

راح تالبوت يضمد باقى الجروح ببراعة ويضع عليها الضمادات بينما كانت الفتاة تراقب حركات أصابعه الرشيقة ..

ثم قالت فجأة :

ـ دكتور تالبوت ..

نظر إليها بدهشة فقالت :

ـ اذن فأنت حقاً الدكتور ريتشارد تالبوت ..

توقف الدكتور تالبوت عن العمل وقال لها بدهشة :

ـ نعم أنا الدكتور ريتشارد تالبوت .. هل لديك شك فى ذلك ؟..

ضحكت الفتاة وهى تقول :

ـ كلا بالطبع ولكننى كنت أراك وأنت تمر أمام نافذة منزلى ومن المؤكد أنك لم تشعر بذلك ..

راح الطبيب يشد الرباط بإحكام حول ساقها ويقول :

ـ كيف أشعر بذلك ؟ إن المدينة حافلة بالآلاف من كل جنس ولون والمرء لا يكاد يعرف شكل جاره الذى يقطن بجواره ..

هل تشعرين بوطأة الرباط حول ركبتك ؟..

ولكنها تجاهلت السؤال وقالت :

ـ ولكننى برغم ذلك كنت أعرفك جيداً يا دكتور تالبوت وأراك وأضبط ساعتى عليك عندما تمر أمامى فى تمام التاسعة أيام الاثنين والاربعه والجمعة ، فى الحادية عشرة أيام الثلاثه والخميس والسبت ..

شعر الطبيب بأن الفتاة تحاول العبث به فقال بلا أكتراث :

ـ في الأيام الأخرى أذهب إلى لمستشفى ..

ـ نعم ، وأعرف أيضاً أنك تذهب لتناول الغداء فى الثانية عشرة والربع ،وفى تمام السادسة والنصف تغادر العيادة متجهاً إلى بيتك ..

توقف عن العمل وابتسم وهو يقول لها :

ـ من الواضح أنك تعرفين تفاصيل برنامج حياتى اليومية ، التى تبدو مملة وروتينية ، ولكننى اليوم خالفت الروتين ..

ـ هل تقصد تأخرك فى مغادرة العيادة ؟..

ـ نعم ..

ـ هذا من حسن حظى ، فلولا ذلك لكنت الآن ملقاة فى الشارع لا يعلم أحد ماذا سيحدث لى ..

ابتسم الدكتور تالبوت وهو يواصل تضميد جراحها فقالت برقة :

ـ ربما كانت فرصة طيبة حتى نلتقى ..

وضع الطبيب الرباط جانباً وقال :

ـ انها صدفة طيبة ..

ـ هل تعنى الحادثة أم الإصابة التى لحقت بى ؟..

نظر إليها مشدوهاً وقد أدرك أنه كان بعيداً تماماً عن كل مقتضيات اللباقة فقال :

ـ كلا ياسيدتى .. اننى .. اننى لم أقصد ..

ـ لا داعى للإعتذار يادكتور ..

استرد ثقته بنفسه وقال :

ـ إننى فى الحقيقة أشعر بأننى قمت بعمل طيب ، ومن حسن الحظ اننى تأخرت فى العيادة حتى أتمكن من تقديم هذه الخدمة البسيطة ..

ابتسمت الفتاة وهى تحدق فى وجهه ثم ضحكت ضحكة عالية فقال لها بهدوء :

ـ من الواضح أنك تجدين فى وجهى ما يبعث على الضحك ؟..

فقالت وهى تبتسم تلك الابتسامة الساحرة :

ـ ربما .. ولكن أرجو ألا تعتقد أننى فتاة مستهترة ..

لم يحاول ريتشارد تالبوت الإجابة للاحتفاظ بوقاره واحترامه أمام مريضته ، انه لاينسى أبداً واجباته كطبيب ولا ما يجب أن يكون عليه سلوكه ..

نظر إليها نظرة متحفظة وراح يزيل بقايا الأربطة والضمادات ويجمعها بهدوء دون أن يحفل بالرد عليها ..

قالت الفتاة بصوتها الجميل :

ـ من الواضح انك ترانى مستهترة .. أليس كذلك ؟

قال الدكتور تالبوت بلهجة محايدة :

ـ كلا ياسيدتى .. فالعكس هو والصحيح ..

ـ أشكرك .. هل تعلم أن أحداً لم يقل عنى ذلك طوال حياتى ؟

ـ وجد تالبوت نفسه يبتسم رغماً عنه فقالت نورا :

ـ رائع .. لست أدرى لماذا أنت بخيل فى إظهار الابتسامات ؟ هل تعلم ان الضحك يفيدك كثيراً ؟..

وبدأت تدلى بقدميها إلى الأرض ولكنها صرخت قائلة :

ـ ما هذا ؟ اننى أشعر بدوار شديد .. ألا يوجد لديك شئ لعلاج هذا الدوار ؟ .. اننى أكاد أسقط من فرط الإرهاق ..

وعلى الفور أعد لها بعض الشراب المنشط وقدمه لها وقال :

ـ سوف تصبحين على مايرام ..

وبعد أن تجرعت الشراب استرخت فى مقعدها وقالت :

ـ هل تعلم اننى أشعر ببعض التحسن ؟..

قال بلهجة مقتضبة :

ـ كنت أعلم ذلك ..

ـ ألا تريد أن تشاركنى الشراب فى أى مكان تفضله ؟..

فقال بلهجة حازمة ومهذبة :

ـ أشكرك ..

قالت وهى تتصنع الأسى والحزن :

ـ من الواضح أنك لا تحب عملى ؟..

ـ إن هذا ليس من شأنى .. إننى هنا لعلاج المرضى وليس لتقويم سلوكهم أو الإشارة عليهم بما يفعلونه ..

قالت نورا :

ـ اننى أشعر بتحسن كبير حقاً .. أشكرك يا دكتور تالبوت علي ما بذلت من جهد كبيرفى إنقاذى .. ترى كم الساعة الآن ؟..

تطلع إلى ساعته وقال :

ـ انها السابعة ..

ثم هتف بجزع :

ـ يا إلهى .. لقد تأخرت كثيراً دون أن أشعر ..

قالت بخبث :

ـ من الواضح أنك متزوج .. هل أنت كذلك حقاً ؟..

ضحك ريتشارد تالبوت وقال :

ـ نعم .. ونحن الليلة مدعوون على العشاء وقد حان الوقت .. هل يمكنك السير ؟..

حسناً سوف أوصلك بسيارتى ..

تأبط ساعدها الأيمن حتى لا تضغط على ساقها المصابة وتوقف بها أمام منزلها وعاونها على الصعود إلى شقتها وقال لها :

ـ أرجو ألا تذهبى إلى العمل يوما أو اثنين وأن تلازمى الفراش حتى لاتسوء حالتك ، وإذا ما شعرت بأى ألم عليك أن تبادرى باستدعائى ..

وهم بالانصراف حتى يلحق بزوجته فقالت نورا برنتيس :

ـ إننى عاجزة عن تقديم الشكر لك يادكتور تالبوت ..

قال وهو يهبط السلم :

ـ لا داعى لذلك ..

وقبل أن ينصرف هتفت قائلة :

ـ دقيقة واحدة يا دكتور .. بكم أنا مدينة لك ؟

ـ سوف أبعث إليك بالفاتورة ..

ـ هل عرفت اسمى ؟..

ـ نعم .. نورا برنتيس ..

ـ أشكرك على أنك تحملتنى ولكننى كنت سعيدة بالذهاب إلى عيادتك .. هناك

شئ يجذبنى إليك لست أعرفه ..

نظر إليها بارتباك ثم حياها وانصرف .

ولأول مرة يشعر بجمال الكون وروعة السماء الصافية ..

* * * *

سارت حياة الدكتور تالبوت على وتيرة واحدة طيلة الأعوام الأخيرة ولم يتغير شكل الحياة أبداً عما كان يحدث كل عام ..

ففى حياته اليومية كان يمارس عمله بإخلاص والتزام من التاسعة صباحاً حتى السادسة والنصف مسله ولا يفكر فى شئ آخر عدا عمله ولا يسمح لأى أمور خاصة أو عائلية أن تعرقله عن العمل ، فكانت هذه هي إحدى شخصيتيه المستقلة .. شخصية الدكتور تالبوت الهادئ الملتزم ..

أما الشخصية المستقلة الأخري فهى شخصية الأب الطيب المخلص لزوجته وأولاده ،وتستمر من السابعة مسله حتى صباح اليوم التالي ..

وفى حالات نادرة للغاية تتدخل إحدي الشخصيتين فى الأخري ،ولكن الرجل كان حريصاً علي التوازن التام وإبعاد كل شخصية عن الأخرى ..

* * * *

كان جالساً فى عيادته يدون بعض المعلومات وكانت الساعة تقترب من السادسة والنصف موعد انصرافه .. عرف جيداً كيف يقصر وقت العمل على ما يخص العمل فقط ويطرد من ذهنه كل مايتعلق بالمسائل الشخصية وغيرها حتى ذلك الحديث الذى كان يود الإفضله به إلي زوجته لوسى كان يطرده من ذهنه ويعود إلى الكتابة مرة أخرى ..

نظر إلى ساعته فوجدها تشير إلى السابعة إلا الربع فجمع أوراقه بعناية وتهض واقفاً يتهيأ للرحيل ..

ولكنه شعر بدافع غريزى يلح عليه فى البقاء قليلاً فجلس مرة أخرى وأعاد نـشر أوراقه وبدأ العمل مرة أخرى ..

ما كاد يفعل ذلك حتى سمع صوتاً عند الباب الخارجى يقول :

- ألا يوجد أحد هنا ؟

ما كاد يسمع الصوت حتى خفق قلبه .. إنه صوتها ..

هرع إلى الخارج ليتحقق من ذلك وأجفل حين رأها أمامه ..

إنها هى نورا برنتيس ..

هتفت الفتاة قائلة بمرح :

- هالو .. من حسن حظى أننى وجدتك هنا رغم انتهاء مواعيد عملك ..

وشعر تالبوت بالدهشة لأ نه كان يتوقع حضورها ولذلك لم تـؤثر فيـه المفاجـأة ..

سأل نفسه :

- هل حقاً كنت تنتظر حضورها ؟

قالت نورا :

- لمحت النور مضاء فى غرفتك ورأيت الباب مفتوحاً فـدخلت .. أرجـو ألا أكـون قطعت حبل أفكارك ؟..

قال على الفور :

- كلا .. لقد جئت فى الوقت المناسب ..

كان يريد أن يستبقيها لديه قليلاً ولكنه وجد نفسه فى حيرة شديدة ..ماذا يقول لهـا ؟..

إنه يشعر بالوحشة الشديدة والضيق ، ولكنها تبـدو واثقـة مـن نفـسها هادئـة .. مطمئنة .. فماذا يقول لها :

قالت الفتاة :

- جئت لاستشارتك فى شئ هام .. لقـد أرسـل صـاحب الملـهى فـى اسـتدعائى

لحاجته الشديدة إلى الليلة حيث يزدحم الملهى بالرواد ليلة الأحد ، فما رأيك .. هل يمكننى الذهاب إلى العمل أم أن ذلك يوثر على حالة ساقى ؟..

قطب حاجبيه وفكر قليلاً ثم قال :

ـ هل مازالت ساقك تؤلمك أم أنها تحسنت ؟

ـ انها تؤلمنى ولكن من المؤكد أنها تحسنت عما كانت عليه بدرجة مدهشة ..

هز رأسه ثم قال :

ـ أعتقد أن بإمكانك الذهاب إلى العمل بشرط الابتعاد عن الرقص بقدر الإمكان ..

نظرت إليه متعجبة ثم ابتسمت بخبث وقالت :

ـ من الذى قال لك إننى أعمل بالرقص ؟

بدا عليه الارتباك ولم ينطق فقالت :

ـ إننى أعمل مغنية فقط ومن المعروف أننى أتميز بالحرص الشديد دائماً ..

تنفس الصعداء وقال :

ـ رائع .. فى هذه الحالة يمكنك الذهاب بدون خوف ..

وجدها تتهيأ للإنصراف وشعر بدافع غريزى يدفعه لاستبقائها قليلاً فلم يجد ما يقول سوى تكرار نصائحه لها بعدم الإسراف فى الحركة والتوقف فوراً إذا شعرت بآلام شديدة فى ساقها ..

شعر بسخافته معها ولكنه لم يجد ما يقول سوى ذلك ..

شعرت الفتاة بأنه يود استبقائها قليلاً فقالت له :

ـ إننى شديدة الأسف للحضور فى هذا الوقت الذى تتهيأ فيه للعودة إلى منزلك .. ألا ترى أن الساعة تقترب من السابعة ؟..

ابتسم ريتشارد وهو يراها تبتعد بعد أن ألقت بتحية المساء ..

كانت تتميز بالجمال والرشاقة وتألق شعرها الجميل تحت ضوء المصباح ..

قال لنفسه :

- انها ذاهبة إلى حيث المرح والضجيج بينما هو هنا حبيس عيادته أسير عمله الذى لا ينتهى ..

لماذا لا أحاول استبقاءها معي قليلاً ؟ ولكن .. ماذا أقول لها ؟ إننى لا أعرف الحديث إلا فى شئون العمل أو الأسرة ..

هم بالحديث ولكنه خشى ألا يفلح فى حملها على الاستماع إليه ، ثم خطر بباله انها قد تفضل الحديث عن عملها .. وبدون أن يشعر وجد نفسه يتعقبها إلى الخارج ويهتف قائلاً :

- مس برنتيس .. مس برنتيس ..

استدارت إليه وهى تتظاهر بالدهشة وقالت :

- ماذا يا دكتور تالبوت ؟ هل كنت تنادى أسمى ؟..

فقد شجاعته فجأة وبدا مضطرباً .. فهاهى قد توقفت فماذا عليه أن يقول ؟ ..

قال متلعثماً :

- إننى .. اننى أريد أن أقول .. ان الحرص الشديد ضرورى للغاية .. أخشى أن تسوء حالة ساقك إذا بذلت جهداً شاقاًو ..

قال بخبث :

- ولكنك قلت لى ذلك من قبل عدة مرات ! ..

وتعمدت أن تلقى إليه بتلك الإبتسامة الماكرة وهى تعلم أنه سوف يزداد ارتباكاً واضطراباً وقالت :

- من الواضح أنك مازلت تعمل حتى الآن ؟..

تنفس الصعداء ، فقد ألقت إليه الفتاة بطوق النجاة ، ولاشك أنها تعمدت ذلك

حتى لا تتركه يعانى من هذا الموقف الصعب .. قال على الفور :

ـ نعم .. إننى أقوم بإعداد بحث فى أمراض القلب .. إنه حقاً أمر شاق يحتاج إلى المزيد من العمل والقراءة ..

قالت ضاحكة :

ـ هل تقوم بإعداد بحث فى أمراض القلب ؟ إن بامكانى وضع مجلدات فى هذا الموضوع ! ...

ضحك ريتشارد من قلبه فقالت الفتاة :

ـ إنك تكون رائعاً عندما تضحك ..

فبدا عليه الخجل ولم ينطق وقالت الفتاة :

ـ حسناً .. سوف أذهب الآن آلى عملى .. إلى اللقاء ..

فهتف قائلاً :

ـ هل ستذهبين الآن ؟ ولكن .. أين تعملين ؟ لقد ذكرت لى اسم النادى ولكننى نسيته فمعذرة ..

قالت بخبث :

ـ ولكننى لم أذكر اسم النادى أبداً يا دكتور تالبوت .. إننى أعمل فى "نادى ديناردو " فى شارع مانزهوارف .. ولكن لماذا تسأل ؟..

بدا عليه السرور وقال :

ـ ربما تمكنت من الذهاب إلى هناك يوماً لتناول طعام العشاء .. ولكن هل تقدمون هناك طعاماً جيداً ؟..

قالت بمكر :

ـ لا أعتقد ذلك ، فإذا كنت تبحث عن الطعام فأنصحك بعدم الذهاب ، أما إذا كنت تريد الغناء فسوف تجد ما يسرك !..

قال متلعثماً:

- سوف أري ذلك يا عزيزتى ..

- إلى اللقاء ..

ثم انصرفت مسرعة ولأول مرة يشعر الدكتور ريتشارد تالبوت بالوحشة الشديدة بهذه الصورة وراح يتساءل :

- ترى ماذا حدث ؟ لقد بدأت الفتاة تحتل حيزاً كبيراً من تفكيره ..

* * * *

لم يطق ريتشارد تالبوت صبراً حيث وجد نفسه يتوجه إلى نادى ديناردو .. استقبله فيل دينادرو صاحب النادى بنفسه فوجده ريتشارد طلق المحيا أنيق الثياب وسيم الوجه ..

كان الرجل يؤمن بأن حسن الأستقبال والأهتمام الشخصى بالزبائن أهم كثيراً مما يقدم على الموائد أو علي المسرح ، وان ذلك كفيل باجتذاب العملاء ..

لم يكن يبذل هذا الاهتمام بكل من يدخل النادى بل للعملاء المهمين فقط أو الذين يرتادون المكان لأول مرة مثل الدكتور تالبوت ، فقد كان الرجل يحلم بأن يجعله نادىً لأصحاب النفوذ والجاه ..

ما كاد تالبوت يدخل القاعة الكبري حتى أقبل عليه فيل دينادرو ، بوجهه المبتسم دائماً وقال :

- مرحباً بك ياسيدى .. هل جئت وحدك أم معك آخرون ؟..

قال تالبوت مرتبكاً :

- فى الحقيقة .. اننى ..

وعلى الفور فهم الرجل ماذا يقصد ضيفه فقال :

ـ حسناً .. ها هى مائدة لشخصين فى مكان هادئ ..

اقتاده الرجل إلى مائدة تقع فى مكان جيد يشرف على المسرح ويرى من خلالها كل ما يدور عليه بوضوح ..

فى البداية ظهر على المسرح ثلاثة فتيان يتميزون بالوسامة وبدأو الغناء بأصواتهم الردئية فراح تالبوت يدور بعينيه فى أنحاء المكان ..

شعر بالضيق والاختناق فى هذا النادى الذى يمتلئ بالرواد وتفوح منه رائحة الدخان والتبغ ،ولاحظ ان الموائد تكاد تكون متلاصقة ولا يمكن أن يتحرك المرء دون أن يحتك بالذى يجلس إلى المائدة المجاورة له ..

ولكنه بدأ يشعر بالراحة بعد قليل وينظر للأمر نظرة أخرى ..فإن اقتراب الأشخاص من بعضهم بهذه الصورة يزيد من الشعور بالأنس والمرح ..

راح يتأمل الرواد وهم يضحكون أو يرقصون ويبحث عن نورا بينهم .. كان يخشى أن تكون جالسة إلى إحدى الموائد حتى يحين وقت ظهورها على المسرح دق قلبه بعنف عندما لمح فى الضوء الخافت امرأة إلى يمينه ظنها نورا ..

كان الجرسون ينحنى أمامها ويتلقى طلباتها وقال تالبوت لنفسه :

ـ ترى هل هى نورا حقاً ؟..

ولكن المرأة التفتت إليه وأدرك أنه كان مخطئاً ..

وبينما هو يبحث عن الفتاة فى كل مكان سمع صوتاً نسائياً يشدو بالغناء على المسرح ولاحظ أن الضجة قد هدأت وأشرأبت الأعناق تتطلع إلى المطربة التى ما كاد ينظر إليها حتى دق قلبه بعنف ..

كانت تشدو بصوت عذب يسيل رقة وحناناً مما جعله يكاد يصعد إلى المسرح ويضمها إلى صدره ..

راحت نورا تبحث بين الجالسين وتنتقل ببصرها من مائدة إلى أخرى حتى رأته

فاستقرت نظراتها عليه طويلاً قبل أن تنتقل إلى مائدة أخرى ..

ثم عادت إليه بسرعة وألقت إليه بابتسامة رائعة أدرك أنها خاصة بـه دون سـواه فشعر بالزهو ..

وبحركة لا شعورية راح يتطلع إلى الجالسين حوله وسأل نفسه :

- ترى هل أدرك أحدهم ما تعنيه الابتسامة الرائعة ؟..

ولكنه فى نفس الوقت شعر بالأسف وخيبة الأمل لسبب لا يـدرى كنهـه .. لقـد بدأيتعلق بها كثيراً فهل بدأ يغار عليها ؟..

جاءته الإجابة بسرعة ..

تركت نورا المسرح وهى تحمل الميكروفون بيدها ونزلت إلى الصالة وهـى تقـف أمام الموائد وتغنى للجالسين عليها مقطعاً صغيرًا من أغنيتها ..

كانت وسيلة معروفة للدعاية ولاجتذاب الرواد إلى النادى وكان الرجال يشعرون بالسرور لذلك ..

ولكن ريتشارد تالبوت شعر بالضيق الشديد لما ينطوى عليـه ذلـك مـن ابتـذال وعبث سأل نفسه :

- وماذا يهمنى من أمرها ؟ إنها المرة الأولى التى أحضر فيها غناءها ..

وأخيراً انتهت نورا من الغناء فتنفس تالبوت الصعداء ..

عقب ذلك عزفت الموسيقى وبدأ فاصل جديد من الغناء على المسرح ..

التفت ريتشارد تالبوت حوله يبحث عن الفتاة فوجدها مقبلة نحوه وهـى متهللـة الوجه ..

قالت له بلهجتها المرحة :

- أري أنك جئت بسرعة ! ..

ارتج عليه وقال بلهجة الاعتذار :

ـ فى الحقيقة إننى .. إننى شعرت بعدم استطاعتى الأستمرار فى العمل ولذلك قررت الحضور.

فقاطعته قائلة :

ـ ألن تقدم إلى مقعداً يا دكتور تالبوت ؟..

وبعد أن جلست ضحكت تلك الضحكة العابسة وقالت :

ـ ألن تبحث حالة قلبى يا دكتور ؟..

نظر إليها بدهشة وهو لا يعلم ماذا تقصد فقالت بمرح :

ـ ألم تقل إنك تهتم بمتاعب القلوب ؟ حسناً اننى أشعر ببعض التعب بقلبى .. فأدرك الدكتور أنها تعبث به ولم يعقب ..

أما هى فاستلقت فى مقعدها وغرقت فى أفكارها قليلاً ثم قالت بلهجة جادة لم يعهدها منها :دكتور تالبوت .. إننى فى حيرة من أمرك ..

قال بجزع :

ـ لماذا ؟ هل ارتكبت خطأ بمجيئ إلى هنا ؟

ـ اننى لا أعنى ذلك ولكن الأمر محير حقاً ..فقد عهدتك دائماً رجلاً ملتزماً شديد الحرص على مواعيده .. تذهب إلى العيادة وتنصرف منها وفق مواعيد محددة بدقة متناهية ، ومن الواضح أنك بدأت تغير هذه المواعيد .. وإننى أتساءل ما الذى يحدو برجل متزوج مثلك أن يفعل ذلك ؟

فقال متلعثماً :

ـ إن .. إن زوجتى غير موجودة الآن بالمنزل .. إنها خارج المدينة ..

قالت بلهجتها الساخرة:

ـ يبدو أنك قلت لنفسك : إن زوجتى غائبة فلم لا أذهب للتسلية مع هذه المغنية التى لا أذكر اسمها ؟ ألم تفكر بهذه الطريقة ؟..

بدا عليه الأضطراب واحمر وجهه وقال :

ـ كلا بالطبع .. كل ما فى الأمر ..

فقاطعته بحدة قائلة :

ـ لاداعى لإلقاء الأكاذيب .. إننى أعلم جيداً أننى لا أساويك فى الأهمية ولكننى برغم ذلك لست من النفايات كما تظن ..

شعر الرجل بالحيرة ولم يدر لماذا هى غاضبة كذلك ؟ انه لم يفعل مايسئ إليها بل إنه جاء ليراها ويجلس معها بعد أن شعر برغبة جامحة فى رؤيتها ..

قال بهدوء :

ـ كلا يامس برنتيس .. إنك مخطئة تماماً فى ظنك ..

ثم ازداد انفعالاً وهتف قائلاً :

ـ إننى ماجئت إلا لأننا صديقان على قدم المساواة ولم أفكر بطريقتك الشاذة .. ثم نهض من مقعده لينصرف ..

فلحقت به الفتاة وهتفت قائلة :

ـ لحظة واحدة يادكتور تالبوت .. لحظة واحدة ..

التفت إليها ثم توقف عن السير ولحقت به الفتاة أمام الباب الخارجى للنادى والتقت نظراتهما ..وبعد لحظات كان وجهاهما يعبران عن الإرتياح والسرور ..

سارا معاً وسط الأشجار التى تحيط بالطريق واستنشقت نورا رائحة الصنوبر التى يحملها الهواء البارد وقالت :

ـ كم تمنيت أن استنشق هذا الهواء النقى ! ..

تشابكت ايديهما وبدا أنهما قد اتفقا على كل شئ بدون أن يتبادلا كلمة واحدة .. وهكذا بدأت علاقتهما بطريقة جدية ..

* * * *

كان منذ أيام يتمنى الذهاب مع أفراد أسرته إلي الكوخ الذى استأجره ، ولكن زوجته لوسى اعترضت وها هو الآن يذهب إليه بصحبة فتاته الحسنك الرائعة الجمال ..

بدت نورا فاتنة وهى تسير تحت ضوء القمر بينما يعبث النسيم البارد بشعرها الجميل وتبدو حمرة الخجل على وجهها ..

راح يتأملها وهو يتساءل :

- ترى هل هذه حقاً بورا برنتيس الحقيقية ؟ انها تبدو كفتاة بريئة طاهرة لم تلوثها الحياة بأوحالها ؟ أم أن نورا هى المغنية العابثة المستهترة التى تغنى أمام كل الموائد ؟..

ولكنه شعر شعوراً قوياً بأنها تملك قلباً بريئاً نقياً ونفساً طاهرة تنزع إلى الحب وتبحث عن السعادة الحقيقية فطرد عن ذهنه تلك الأفكار المزعجة وقال لنفسه :

حسبى انها معى الآن وسط هذا الجمال الخلاب ..

فتح باب الكوخ وقال لها :

- انتظرى قليلاً حتى أعد الكوخ .. إن أحداً لم يدخل هنا منذ فترة طويلة، ولاشك أن هذا الإهمال قد ترك أثره على كل شئ ..

بدت القاعة الرئيسية مغطاة بالأتربة الكثيفة وأصبح كل ما بها من أثاث وفراش ذا لون رمادى بغيض ..

شعر تالبوت بالحزن لذلك وقال لنفسه :

- إننى الملوم فى ذلك ، فكان يجب أن أعمد إلى تنظيف الكوخ قبل حضورنا ..قال معتذراً :

- أرجو المعذرة يا عزيزتى .. ان المنظر كريه حقاًولا يبعث على الشعور بالسرور ولكن سوف أحاول بقدر الإمكان تنظيفة ..

كانت نورا تتجول بين الغرف وقالت :

- ولكن لماذا تركته حتى يصل إلى هذه الحالة السيئة ؟..

فقال بأسى :

ـ لأن أحداً لا يأتى إلي هنا سواى ..

شعرت الفتاة بما تحمله كلماته من معانى الأسى والحزن الدفين فشعرت بالعطف عليه وقالت وهى تشير إلى بيانو صغير :

ـ من الذى يعزف عليه ؟.

ـ أنا بالطبع .. انها الهواية الوحيدة التى يمكنني ممارستها هنا ..

ـ ولماذا استأجرت هذا الكوخ ؟.

ـ كانت لدى رغبة ملحة فى استئجار كوخ هادئ فى منطقة جبلية منعزلة وقد استأجرته بدون الحصول على رأى أحد ..

قالت على الفور :

ـ وماذا كان رأى زوجتك ؟.

ـ لقد راحت تصب اللوم على رأسى وتتهمنى بالجنون لاستئجار هذا الكوخ المنعزل الذى يبعد عن المدينة كثيراً ..

قالت نورا:

ـ ان أفضل مزاياه هى الإبتعاد عن المدينة ..

قال بأسى :

ـ ولكنه لايصلح لإقامة الحفلات والمآدب ! إن كل ما يهم زوجتى هو البقاء فى أماكن تستطيع أن تدعو إليها الأصدقاء والمعارف فى كل وقت ..

هل عرفت الآن لماذا لم تقم زوجتى بزيارة الكوخ أبداً ؟.

غمغمت نورا قائلة :

ـ نعم يا صديقى .. ولكن أرجو ألا تحزن من أجل ذلك ..

ـ لقد ألححت عليها كثيراً لترافقنى فى زيارتى للكوخ ولو ليوم واحد أريح فيه

أعصابى ولكنها كانت تنظر إلى بسخرية وترثى لحالى وكأننى مـريض بحاجـة إلى العلاج وهكذا أصبحت أمقت الحضور إلى هنا ..

ـ هل انقضت فترة طويلة منذ حضورك لآخر مرة ؟..

ـ حوالى عام ..

وبعد أن أنتهت جولتهما فى ارجاء الكوخ قال تالبوت :

ـ أرى أنه من الأفضل لنا الانصراف من هنا ..

ـ هل تريد حقاً الانصراف ؟ ولكن الكوخ لـيس رديئـاً إلى هـذا الحـد ، بـل انـه سوف يكون رائعاً اذا ما قمنا بتنظيفه ..ان الأمر لـن يـستغرق وقتـاً طـويلاً كمـا تتخيل فهيا بنا نبدأ العمل ..

نظر إليها بدهشة وقال :

ـ هل تشعرين برغبة حقيقية فى البقاء هنا ؟.

ـ بالتأكيد .. هل تظن اننى لا أعـرف كيـف اسـتعمل المكنـسة ؟ هيـا افـتح هـذه النوافذ ..

راحا يعملان سوياً بهمة ونشاط ولم يكن تالبوت يتخيل أن الأمـر سـوف يكـون سهلاً إلي هذه الدرجة ..

عاونها فى كل شئ حتى أصبح الكوخ نظيفاً رائعاً ، وبدت الفراش جميلة متألقـة والأثاث نظيفاً براقاً يدل على حسن الذوق ..

أضاء تالبوت المصباح وجلس إلى البيانو وراح يداعبه بأنامله الرقيقـة ، أمـا نـورا فقد جلست على البساط دون أن تنظر إلى تالبوت ..

بدأ تالبوت يوقع لحناً شجياً على البيانو ..

وبعد دقائق كان اللحن يتسلل إلى أعماق نورا فشعرت بنـشوة طاغيـة واهتـزت مشاعرها فقالت :

ـ ما هذا ياريتشارد ؟ إنك تبدو ماهراً فى العزف على البيانو ..

ابتسم دون أن ينطق فقالت :

ـ لمن هذا اللحن الشجى ؟..

ـ لشوبان ..

قالت وهى تبتسم :

ـ نعم ..اننى أعرف ذلك ..

فتوقف عن العزف قليلاً وراح يتطلع إلى وجهها الجميل وقال :

ـ ولكن لماذا تضحكين ؟..

نظرت إليه بدهشة وقالت :

ـ كيف عرفت اننى كنت أضحك ؟ إننى لم أكن أنظر تجاهك ! .

واصل ريتشارد عزف اللحن الحزين ثم قال لها فجأة :

ـ نورا .. أعتقد أن لك عددا كبيرا من الأصدقاء .. أليس كذلك ؟..

تطلعت إليه قليلاً وهى تشعر بالسعادة ..قالت لنفسها :

ـ من الواضح أن ريتشارد يحبنى ويغار على ، فما من رجل يتحدث عن أصدقائى ويبدو عليه الخجل هكذا إلا لانه يحبنى ..

كانت تتمنى أن تعبر له عن صدق مشاعرها نحوه وانها تختلف تماماً عن مشاعرها تجاه كل من عرفت من قبل ..

ولكنها قررت أن ترجئ ذلك قليلاً حتى يدرك ذلك بنفسه ويشعر بالأسف على ما خطر بباله نحوها ..

قالت له بعد قليل :

ـ من قال لك أن لدى أصدقاء ؟..

ـ هل يمكن ذلك ؟ إن عملك يجلب لك الكثير من الأصدقاء .. بل ان الجميع

يسعون إلي صداقتك ..

قالت بأسى :

ـ كلا يا صديقى .. إنهم لايستحقون هذا اللقب الجميل ، فهم ليسوا بأصدقاء وكل ما يبحثون عنه اللهو والتسلية ، أما الصداقة فهى أسمى من ذلك كثيراً ..

قال متردداً :

ـ ولكننى واثق أن دنياردو الوسيم صاحب النادى يميل إليك ..

ـ نعم ..

وتعجبت نورا من معرفة ريتشارد بهذه الحقيقة رغم أن دينياردو لم يقف إلى مائدتهما سوى دقيقة واحدة وتحققت من صدق شعوره نحوها فقالت :

ـ هل تعلم أن الرجل سوف يفتتح ملهى في نيويورك ويريد أن يصحبنى معه إلى هناك ؟..

قال علي الفور وقد بدا عليه الجزع :

ـ وماذا قررت ؟ هل ستذهبين ؟

ـ لا أعتقد ذلك ..

ـ لماذا ؟..

ـ لأننى لا أحب صحبة هذا النوع من الرجال ..

وعندما قالت ذلك شعرت بالدهشة البالغة ..

فقد حسمت هذه المشكلة الصعبة فى لحظة واحدة رغم أنها قضت أسبوعين تفكر فى الأمر دون أن تصل إلى قرار ،وها هى تتخذه خلال مناقشة عابرة مع ريتشارد بدون أى تفكير ..

لقد جاء القرار تلقائياً ..

غرقت نورا فى التفكير فقال لها ريتشارد :

ـ نورا .. فيم تفكرين ؟..

ـ أشياء كثيرة .. لقد كنت أظن فيما سبق أننى أعرف ماذا أريد ..

ـ ماذا كنت تريدين ؟..

ـ كنت فتاة جميلة مرحة جئت من بلدة صغيرة فى الغرب وأنا أتوق إلى هنا وأتمنى أن أجد من يصحبنى للعمل فى نيويورك أو إلي هوليود ، ولكنها كانت أحلاما وردية سرعان ما تحطمت على صخرة الواقع المرير ..

اهتز قلبه بعنف وهو يسمعها تتحدث لأول مرة بهذه الطريقة وقال لها :

ـ إن لديك كل مؤهلات النجاح ..

ـ ولكن حقائق الحياة مؤلمة للغاية وسرعان ما تشعرك بالصدمة وتحطم آمالك ..

وبصورة لا إرادية هتف قائلاً :

ـ نورا ..

ـ لاداعى للحزن ياعزيزى .. لقد اعتدت على هذه الحياة الصاخبة وعلى مواصلة الغناء المرهق طوال الليل وتحمل مضايقات بعض الزبائن .. إننى لا أشكو ولا اتبرم ، بل إننى راضية تماماً ولكننى فقط كنت أتذكر أحلامى القديمة ..

قال وهو يكاد يلتهمها بعينيه :

ـ إنك حقاً رائعة يا نورا .. بل إنك أروع كثيراً مما تتخيلين ..

لمست الصدق فى نبراته وقالت :

ـ بل إنك أكثر روعة يا ريتشارد وأنت تتحدث بمثل هذا الصدق .. إننى أشعر بالسعادة وأنا أسمع منك هذا الثناء ..

قال بخجل :

ـ ولكنك فى الحقيقة تختلفين كثيراً عن الظاهر ..

ـ لست أفهم ماذا تعنى ؟..

ـ منذ يومين وعندما جئت إلى عيادتى كنت شديدة القسوة وتعمدت أن تعبثى بى إلي حد جعلنى أشعر بالغضب ..

ضحكت الفتاة وقالت :

ـ لقد كنت أنت السبب فى ذلك ؟.

ـ انا ؟ كيف كان ذلك ؟..

ـ لأنك تعمدت الحديث معى بجد ووقار ..

قال برقة :

ـ كان ذلك منذ يومين ،ولكننى أشعر الآن اننا ازددنا قرباً من بعضنا البعض يا نورا .. يا إلهى من يصدق اننى لم أعرفك إلا منذ أيام معدودة ؟..

اقترب منها ريتشارد وقبض على كفها فشعرت بحرارة يده وشدة حبه لها ،ولكنها فى نفس اللحظة شعرت بوخز الألم فى ساقها المصابة حينما اتكأت عليها فندت عنها آهة ألم وانبعثت واقفة ..

نظر إليها ريتشارد جزعاً وقال :

ـ نورا .. ماذا حدث ؟ هل تشعرين بالألم ؟..

ـ كلا ..ولكن من الأفضل أن ننصرف من هنا حالاً ..

ـ ولكن ماذا حدث ؟

قبض على كتفيها وراح ينظر إلى عينيها ولكنها حولت وجهها عنه وقالت بشئ من الخشونة المتكلفة :

ـ لاشئ .. لاشئ ياريتشارد ..

ـ ولماذا ننصرف ؟

ـ لأننا أمضينا اليوم كله هنا ولابد أن ننصرف ..

شعر بالخوف وخشى أن يكون جرح شعورها دون أن يدرى فقال بجزع :

ـ ماذا حدث ؟ هل أتيت بشئ جرح شعورك ؟

ـ كلا .. لم يحدث شئ من ذلك ..

كانت نفسها فى تلك اللحظة مسرحاً لشتى الانفعالات المتعارضة ..

لقد بدأت تشعر بعمق عاطفتها نحو الرجل المخلص وبأنها تنزلق بسرعة للارتباط به وفى نفس الوقت كان ضميرها يؤرقها بشدة ..

انها إذا تركت لنفسها العنان فسوف تدمر حياته وحياة أسرته السعيدة .. ولذلك فلابد من القضاء على هذه العاطفة وهى مازلت فى مهدها ..

نعم .. لابد أن تتحمل ما سوف يصيبها من عذاب الفراق وألم البعد قليلاً ولكنها سوف تنسى لا محالة ..

ولكنها فى نفس الوقت كانت حريصة على شعوره وساءها أن تراه حزيناً لسلوكها الغريب تجاهه فقالت له برقة :

ـ انك انسان رقيق القلب لم تسبب لى أى جرح بل على العكس فإنك أول رجل يعاملنى برقة واحترام .. ولكن ..

ـ ماذا ؟..

قالت بضيق :

ـ لاشئ .. لاشئ ياريتشارد .

ـ ولكنك كنت فى أحسن حال منذ قليل فماذا حدث ؟ هل تنقلب السعادة إلى تعاسة وشقاء في لحظة واحدة ؟

قالت بأسى :

ـ نعم .. ألم ينته يومنا هذا ؟ هل يمكن أن يستمر اليوم إلى مالا نهاية ؟ كلا بالطبع لقد انتهى اليوم الجميل كما سينتهى كل شئ رائع فى الحياة ثم تعقبه التعاسة ..

بدت الحيرة على وجهه وقال :

- ليتنى أعرف ماذا اعتراك ؟..

- بصراحة ياريتشارد لقد بدأت الأمر كنوع من العبث والدعابة ،ولكن الأمر الآن لم يعد كذلك .. إنك على وشك امتلاك روحى وهذا مالا أريده ..

حملت معطفها وهمت بالخروج فهتف ريتشارد من أعماقه :

- نورا ..

قالت بلهجة تفيض بالحزن :

- كلا يا صديقى ..لاداعى للإستمرار فى هذه المغامرة وكفى مالقيت فى سابق أيامى ،ولم أعد أستطيع تحمل المزيد من الألام ، فهيا بنا نغادر هذا المكان ..

أطفأ الأنوار وأغلق النوافذ وحمل معطفه وهم بالإنصراف ..

تناول يدها وضغط عليها ..

ولكن هذه الحركة البسيطة حطمت ما بقى لها من عزيمة ..

* * * *

وجد نفسه يتجه إلي منزلها بصورة لا إرادية ..

ماذا حدث له ؟

لقد أصبحت الفتاة هى كل شئ فى حياته ..هكذا فجأة ..فبعد أن ظهرت أمامه فجـأة وعبثت به فى البداية تحول الأمر تحولاً رهيباً وصارت هى أهم ما فى حياته ..

راح يتساءل :

ـ ترى ماذا ستقول له ؟ وهل ستشعر بالدهشة عندما تـراه ؟.. شـعر بالاضـطراب لذلك وخشى أن تسئ استقباله ،ولكنـه كـان قـد عـرف كيـف تفكـر ووجـد أن الاحتمال الأقرب أن تستقبله بشئ من التحفظ ..

كانت فكرة جنونية قد استحوذت عليه منذ الصباح ..لقـد قـرر أن يـذهب إليهـا ليراها فى الدقائق القليلة المتبقية على ذهابه إلى العيادة ، كانت بالتحديـد ثمـانى عشرة دقيقة ولكنها كانت كافية لإسعاده بقية اليوم ..

وكان هناك احتمال ليراها لبضع دقائق أيضاً بعد أن ينتهى من العمل فى العيادة وهكذا أصبحت نورا هى محور حياته بعد أن عرفها ببضعة أيام ..

ضغط زر الجرس ثم أرهف السمع وتوقع أن يسمع صوت وقـع أقـدامها وهـى مقبلة لتفتح الباب وراح يتخيل ماذا سيكون رد فعلها ..

ولكن مرت دقيقة دون أن يسمع شيئاً فأعاد ضغط الجرس مرة أخرى ولكـن لمـدة أطول حيث وضع اصبعه على الجرس لمدة حوالى نصف دقيقة ..

ورغم ذلك فلم يسمع أى حركة وانتابته الوساوس وتساءل :

ـ ماذا حدث ؟ هل يمكن أن تغادر منزلها فى مثل هذه الساعة ؟ أم أصابها مكـروه ؟.وربمـا

آلمتها ساقها فخرجت للبحث عن دواء مسكن ؟

وخطر بباله خاطر أزعجه ..

ترى هل كانت تتوقع حضوره صباحاً ولذلك تعمدت أن تتجنبه ؟

إنها فتاة غريبة الأطوار لايمكن أن يفهمها المرء بسهولة ..

وبينما هو غارق فى حيرته سمع وقع أقدام خفيفة مقبلة نحو الباب وصوت حفيف ثوب نسائى فرقص قلبه طرباً ، فلاشك أنها هي .. نورا ..

فتحت الباب وطالع وجهها ..

لم ير فى وجهها ما كان يتوقعه من الدهشة والعجب أو الغضب .. كان وجهها يعبر عن بعض القلق والانزعاج ..

قالت له :

- ماذا بك ايها الحبيب ؟ هل أنت مريض ؟

ثم دعته إلي الدخول فقال :

- نورا .لم أستطع الذهاب إلى عملى دون أن أراك .. لقد شعرت بالقلق الشديد عليك ..

ثم راح يغمرها بقبلاته ..

قال لها :

- نورا .. لقد جعلتنى أكاد أموت من فرط القلق عليك عندما ضغطت الجرس عدة مرات دون أن تلبى .. أين كنت ؟..

ضحكت تلك الضحكة العذبة وقالت :

- أين كنت ؟ كنت مستغرقة فى النوم بالطبع فلم أسمع شيئاً ..

هتف بإخلاص :

- يا إلهي .. لقد أصبحت كل شئ في حياتى يا نورا ولا يمكننى أن أتصور الحياة

بدونك ..

هزت رأسها وقالت بصوت خافت :

ـ هذا ما كنت أخشاه !..

قضى معها بضع دقائق ولذلك وصل إلى عيادته متأخراً خمس دقاق ،وفى المساء عاد إلى بيته متأخراً خمسا وأربعين دقيقة قضاها مع نورا ..

* * * *

ما كاد تالبوت يدخل إلى البيت حتى استقبلته زوجته لوسى بوجه مقطب وراحت تحدثه عن موضوعها المفضل وهو ضرورة الالتزام بالمواعيد ومدى أهمية ذلك وأنها اضطرت إلى تأخير طعام العشاء حتى يحضر ..

أصغى إليها وهو شارد الذهن ،ولم تكن فى حاجة إلي سماع رده فراحت تخوض فى حديث طويل عن أمها التى قضت عندها عدة أيام هى وبونى وجريج ..

ومن العجيب أن تالبوت لم ينزعج لعودة زوجته وأولاده بل على العكس شعر بالرضا والسعادة لذلك ..

فقد شعر برغبة شديدة فى رؤيتهم خاصة ابنته الحبيبة بونى وابنه جريج ، بل إن زوجته لوسى أيضاً لم تغب عن ذهنه ! ..

قال لنفسه :

ـ إن هذا شئ عجيب ، فكأنني لم أرهم منذ دهر كامل ! ..

وفى نفس الوقت أحس بوجود حاجز خفى يحول بينه وبينهم .. انهم ليسوا هم الذين كانوا معه يوم الجمعة ، فقد تغير شئ ما لايدرى كنهه ..

راح يصغى إلي أحاديثهم بإهتمام ويحثهم على مواصلة الحديث دون أن يبذل مجهوداً ليتحدث عن نفسه ..

كان يشعر ببعض الذنب تجاههم ولذلك تـركهم يتحـدثون كيفمـا شـاءوا حتـى صعدوا إلي غرفهم وكان يريد أن يترك الفرصة لزوجته هي أيـضاً كـى تتحـدث عن نفسها ولكنها ذهبت لمراجعة حساباتها بينمـا دخـل هـو إلـي غرفـة المكتـب وراح يعمل بجد فى رسالته عن أمراض القلب ..

* * * *

احتلت نورا حيزاً كبيراً من اهتمامات ريتشارد تالبوت ، فخلال الأسـبوع الحـالى ظل يحرص على زيارتها صباحاً ومسله ، ولـذلك كـان يتـأخر فـى الوصـول إلى العيادة صباحاً وفى العودة إلي المنزل مسله ..

كانت زوجته حريصة علـى تنـاول العـشله لـدي الأصـدقله ودعـوتهم إلى منزلهـا بصفة مستمرة ،ووجد تالبوت أن تلبية تلك الدعوات تحد من حريته وتحرمه مـن لقله حبيبته نورا فاعتذر عن ثلاث دعوات بحجة العمل ..

وكان كل يوم يمر به يجعلـه يـزداد حبـاً وهيامـاً بفتاتـه الحـسنله حتـى أصـبح مـن المستحيل عليه الأفتراق عنها لحظة واحدة ، وخلال سـاعات العمـل كـان لا يفتـأ يفكر فيها ويعد الدقائق الباقية على لقائها ..

بدأت العلاقة بينهما تتطور تطوراً جديداً ..

ففى الاسبوع الثاني اتفق معها على أن يتناولا معاً طعـام الغـداء كـل يـوم حتـى أصبحت تلك العادة شيئاً مستديماً ..

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، ففي المسله كان يحملها فى سيارته بعد الانتهله من العمل فى العيادة ويذهب بها إلى نادى ديناردو حيث تعمل ..

أصبح يراها كل يوم صباحاً وظهراً ومسله بصفة منتظمة ..

أما فى العيادة فقد اضطر للإعتذار لبعض مرضاه وتم تحويلهم إلى زميلـه الـشاب

الدكتور جويل موريان ..

لم يعد تالبوت يطيق فراق حبيبته لحظة واحدة ،وبرغم كل ما يبذله من جهد وما ينتحله من أكاذيب لرؤيتها الا إنه كان يشعر برغبة ملحة فى البقاء معها لأطول وقت ممكن وكذلك كان حال نورا ..

حاولت الفتاة المقاومة بقدر المستطاع ولكنها لم تستطع المقاومة طويلاً ، فالرجل يحبها بإخلاص ويعاملها بأحترام ويقدرها كما لم يقدرها أحد من قبل ..

لم يحفل تالبوت بشئ بل راح ينتحل المعاذير الواهية والحجج التافهة حتى يواصل لقاءاته مع فتاته كل يوم ..

وتدريجياً بدأت صلاته بأسرته تصبح أقل قوة وتماسكاً ..

فى صباح عيد ميلاد ابنته بونى لم يكن والدها متواجداً على مائدة الإفطار لأنه تعود على الاستيقاظ متأخراً خلال الفترة الأخيرة ..

وشعر جميع أفراد الأسرة بخيبة أمل شديدة ..

وبدأت التساؤلات الملحة فى ذهن زوجته لوسى :

ـ ماذا حدث لريتشارد ؟ من المؤكد ان هناك شيئا ما يشغل ذهنه ويدفعه إلى سلوك هذا المسلك الشاذ !..

كيف يتخلف عن التواجد فى هذا اليوم الذى لم يتخلف عنه أبداً من قبل ؟

خيم على الثلاثة جو من الضيق والقلق وراحت الأم تحاول اغتصاب ضحكة وتتصنع المرح أمامهما بينما كان جريج يحاول التسرية عن شقيقته ويداعبها حتى يخفف عنها قليلاً ..

بدت على وجه بونى علامات الضيق وخيبة الأمل وقالت لأمها :

ـ هل تعتقدين أن أبى نسى أن عيد ميلادى اليوم ؟..

قالت الأم على الفور :

ـ كلا يا عزيزتى .. من المستحيل أن ينسى والدك هذه المناسبة ..

ـ هل قال لك شيئاً عن الأحتفال بعيد ميلادى الليلة ؟..

شعرت الأم ببعض التوتر ولم تشأ أن تصارح ابنتها بأن زوجها لم يعد يهتم بشئ على الإطلاق فتحولت علي الفور إلى جريج وقالت له :

ـ حريج .. أعتقد أن عليك الآن إيقاظ والدك ..

خيم الصمت على لوسى وابنتها بينما صعد جريج لإيقاظ أبيه ..

وبعد لحظات سمعا صوت الابن وهو ينادى أباه ويحاول ايقاظه وارتفع صوت الأب وهو يقول :

ـ لا أريد أن يزعجنى أحد .. اننى أعرف متى يجب أن استيقظ .. لماذا تقف هكذا ؟..

وسمعا صوت جريج وهو يقول :

ـ أسف يا أبى .. سوف أنزل حالاً ..

شعرت الأم بألم شديد وتأكد لديها أن شيئاً هاماً حدث لزوجها جعله يتحول إلى شخص آخر غير زوجها الحبيب ! ..

عاد جريج وهو يجر أذيال الخيبة وقد بدا وجهه عابساً وتناول إفطاره وهو حزين ، أما بوني فقد لاذت بالصمت ولم تحاول النطق بكلمة ..

وبعد لحظات ارتدت معطفها وتبادلت التحية مع أمها وأخيها واتجهت نحو الباب للخروج ولكن فى نفس اللحظة أقبل والدها ونظر إليها قائلاً :

ـ طاب صباحك يابونى ..

ردت الفتاة تحية أبيها وكانت تتوقع أن يقبل عليها ويحييها التحية التى تليق بمثل هذا اليوم ولكنه اتجه إلى المائدة وقال لزوجته :

ـ طاب صباحك يالوسى ..

فأدرك الجميع انه لم يعد يذكر أى مناسبة ، فكيف ينسى عيد ميلاد بونى وهى

أقرب أفراد الأسرة إلى قلبه ؟

شعرت الفتاة بخيبة أمل شديدة فاندفعت خارجة من الباب دون أن تنطق بكلمة واحدة ..

أما لوسى فقد تنهدت بعمق وراحت تعد لزوجها طعام الافطار .

قررت الأم أن تتحمل عبء إصلاح ما فسد وإنقاذ ما يمكن انقاذه .

وجدت زوجها مستغرقاً فى أفكاره فقالت له برقة :

- ريتشارد ..اننى أعلم انك مشغول الآن كثيراً ولكن أرجو أن تدع العمل جانباً الليلة وتعود إلي المنزل مبكراً .. هل يمكنك ذلك ؟..

لم يحفل تالبوت بالسؤال عن السبب فى ذلك وقال بلا اكتراث :

- آه .. سوف أحاول .. سوف أحاول بقدر المستطاع ..

شعرت بالغيظ فقالت بحدة :

- هل ستعود فى منتصف الليل كالعادة ؟..

كان على وشك الإجابة بطريقة جافة ولكنه تمالك نفسه فى اللحظة الأخيرة وأدرك ان أوان الإصلاح قد فات ..

لقد أخطأت زوجته حينما أهملت شأنه وتمسكت بالنظام الصارم فى حياة الأسرة ولم تحاول الأقتراب من مشاعره وأفكاره ولذلك ما كاد يجد الفرصة سانحة حتى أفلت من قيودها الثقيلة وانطلق هارباً ..

وجد أن الأمر أصبح مستحيلاً ولاداعى للأستمرار فى الخداع فقال لها :

- من الصعب على العودة مبكراً بسبب وطأة العمل كما تعلمين .. لم يعد بإمكانى العودة مبكراً كما كان يحدث سابقاً ..

فقالت بلهجة جافة :

- إن الليلة تختلف عن غيرها .. فأرجو أن تحاول العودة مبكراً ..

فانتابه الغضب وصرخ قائلاً :

- إن كل ما تأمرين به لابد وان يكون مهماً .. كل شئ .. أما عملى فليس مهماً على الاطلاق . كلا إن عملى أهم من كل شئ ..

تمالكت غضبها وقالت بهدوء :

- اننى أقدر بالطبع أهمية عملك يا ريتشارد ،ولكننى أقول لك ذلك لأن الليلة هى مناسبة ..

فضرب المائدة بقبضته وصاح قائلاً :

- مناسبة .. مناسبة ..اننى لم أعد أحفل بشئ من كل ذلك ، إن مناسباتك لا تنتهى ، لقد مللت من الحياة معك وفق هذا النظام الصارم .. تريدين أن أستيقظ وأن أنام وأن أذهب إلي عملى وأعود وفق توجيهاتك وأوامرك .. ان الحياة هنا أصبحت مستحيلة ..

تنهدت لوسى وقالت :

- اننى لا أرى مبرراً لثورتك يا ريتشارد .. اننى لم أطلب منك أن تفعل المستحيل كما انك لم تعد تتذكر شيئاً عن أحوالنا و .....

فقاطعها قائلاً :

- لم أعد أتحمل الحياة فى ظل هذا النظام الصارم .. ان ما ينقصك هو وضع سجل للحضور والانصراف بالمنزل .

فمنذ عشرين عاماً وأنا أستيقظ فى نفس الموعد وأغادر المنزل وأعود فى تمام السابعة مسء ولا أتأخر دقيقة عن المواعيد الصارمة ، كفى ذلك فقد أصابنى الملل ، انك لاتفكرين لحظة فى المتاعب التى ألاقيها فى عملى ولا تحاولين الاقتراب منى ومعرفة ما يشغلنى ويحزننى كل ما يهمك هوالنظام ..

حدجته بنظرة فاحصة وقالت :

ـ يبدو أن الأمر لم يعد يقتصر على وطأة النظام وقسوة الروتين ، فهناك بعض الهواجس التى أشعر بها ..

بدا عليه القلق فقال لها :

ـ ماذا تعنين بذلك ؟

قالت بسخرية لاذعة :

ـ يبدو أنك تظن أننى غبية ولكن إياك أن تعتقد ذلك .

قال بهدوء :

ـ انني لم أقل ذلك ..

ـ نعم ، ولكنك تلعب لعبة شديدة الخطورة وتظن نفسك ذكياً بارعاً ، فمن الذي يصدق أن هناك عملاً يستمر حتى الثالثة أو الرابعة صباحاً ؟ أليس هذا أمراً عجيباً ؟

ـ ولكن ..

فقاطعته قائلة بحدة :

ـ لو أن جميع أهالى سان فرانسيسكو يعالجون عندك لالتمست لك العذر فى هذا التأخير المتواصل كل يوم ! ..

أدرك أنها تقترب من الهدف فقال لها :

ـ يبدو أن المناقشة سوف تتحول إلي شئ آخر ..

ثم نهض من مقعده ونظر فى ساعته وقال :

ـ سوف أنصرف الآن للذهاب إلي عملى ..

وغادر المنزل مسرعاً ..وفى غمرة انفعاله لم يفطن إلى خطأ كبير ارتكبه دون أن يدرى ..كانت تلك المرة الأولى منذ عشرين عاماً التى ينصرف فيها من المنزل دون

أن يودع زوجته لوسى ..

* * * *

دخل الدكتور تالبوت إلى عيادته متأخراً كعادته فى الفترة الأخيرة فوجد الدكتور موريان يعد بعض التقارير الطبية ،وما كاد يرى الدكتور تالبوت حتى أشار إلي مكتبه الذى تبعثرت فوقه الأوراق بصورة منفرة تدل على الفوضى ..

ويبدو ان الدكتور موريان حضر مبكراً حتى يلفت نظره إلى تأخيره المستمر وتدهور أحواله خلال الأيام الأخيرة ، وأنه قرر إتخاذ هذه الخطوة العملية بدلاً من مصارحته برأيه شفاهة ..

قال جويل موريان وهو يشير إلى حجرة الكشف :

ـ كان بيلى هنا منذ التاسعة وهو موعد فحصه بأشعة اكس ..

قال تالبوت بضيق :

ـ أعرف ذلك ..

ـ ولذلك قمت بعمل الفحص حتى لا يتأخر الرجل أكثر من ذلك ..

ثم قدم إليه المظروف الذى يحتوى صور الأشعة وهو يقول :

ـ ها هى النتيجة ..

وضع الصور فى الضوء وراح يتأملها بينما قال له موريان :

ـ كان الرجل فى أشد حالات القلق والأضطراب ،كان يريد أن يراك للأهمية ..وفى تلك اللحظة سمعا صوت بيلى قادماً ..

قال له تالبوت بهدوء :

ـ مستر بيلي .. من الواضح أن الدكتور موريان بذل من أجلك الكثير من العناية هل تشعر بتحسن ؟..

أشار المريض إلى صور الأشعة وقال :

ـ شكراً لكما ..ولكن ما رأيك فى نتيجة الفحص ؟..

قال الدكتور تالبوت :

ـ إننى لم أنته من دراسة صور الأشعة بعد فأرجو أن تعاود الحضور بعد ذلك ..

أطرق الرجل برأسه ثم راح يجر رجليه خارج الغرفة ..

هتف الدكتور موريان قائلاً :

ـ مستر بيلى ..أرجو أن تظل على اتصال بنا ..

ثم تحول إلى الدكتور تالبوت قائلاً :

ـ ريتشارد إن الأمر ليس على ما يرام .

نظر إليه تالبوت متسائلا وهو يقول :

ـ هل تقصد حالة بيلى ؟..

هز زميله رأسه وقال بأسى :

ـ نعم وغيرها ..

ان بيلى يعانى من متاعب خطيرة ، كما أن المستشفى كان يريدك لإجراء جراحة هامة غداً وقد اتصل بك المدير ولم يجدك ، كما اتصلت بك فى المنزل مساء أمس دون جدوى ولكننى قلت لهم إنك سوف تجرى الجراحة ..

قال تالبوت :

ـ حسناً .. سوف أجرى الجراحة غداً .. لقد تم استدعائى لحالة طارئة مساء أمس ..

قال موريان :

ـ أعلم ذلك .. وأعلم أنك دعيت لعدد كبير من الحالات الطارئة خلال الأيام الأخيرة .. إننى لا أقصد توجيه اللوم إليك ولكن ..

قاطعه تالبوت ببرود قائلاً :

ـ هل لديك شئ آخر ؟..

تنهد الرجل بأسى وقال :

ـ نعم .. سوف أذهب فى عدد من الزيارات اليوم وقد لا أستطيع العودة إلى العيادة مرة أخري .. إلي اللقاء فى المساء ..

قال تالبوت :

ـ إلى اللقاء ..

وبعد انصراف جويل موريان تذكر تالبوت شيئاً هاماً .. لقد قال له زميله إلى اللقاء فى المساء ! ..

هل كان يقصد هذا المساء ؟..

ولكنه لايلقاه عادة فى المساء .. ترى هل يعلم انه يذهب إلى نادى ديناردو كل ليلة ويلتقى بنورا هناك ؟

هل يعلم شيئاً عن نورا تلك التى وصفتها زوجته لوسى بأنها من ضمن أعماله البالغة الأهمية ؟

ولما أعياه فهم مقصد موريان هز كتفيه وانصرف إلي عمله ..

* * * *

أخيراً انتهى من فحص آخر مريض وكان كعادته خلال الفترة الأخيرة متلهفاً علي الانتهاد من العمل للذهاب إلى حبيبته نورا ..

فى العادة كان يجد نورا في الشرفة وهى مترقبة لحضوره تبدو عليها دلائل السعادة والفرح وتستقبله بحرارة وتعبر له عن حبها وأشواقها .

ولكن ما حدث الليلة كان أمراً مختلفاً تماماً ..

فقد استقبلته الليلة بفتور شديد وبدا صوتها مختلفاً عما يعرف كما أبدت نحوه بعض التحفظ ..

انتابه القلق الشديد ولم يعرف ماذا يقول لها ..

وبعد أن التقط أنفاسه نظر إليها نظرات تعبر عن القلق فقالت على الفور :

- ريتشارد أين نحن الآن ؟..

نظر إليها بدهشة ثم غمغم قائلاً :

- اين نحن اننى لا أفهم ماذا تعنين ..

قالت بحدة ..

- هل علمت زوجتك بأمرنا ؟..

كان السؤال مفاجئاً لم يتوقعه فقال متلعثماً :

- كلا .. اننى فى حيرة شديدة يا نورا ولا أدري ماذا أقول لها إذا ما اكتشفت حقيقة علاقتنا .. لقد كنت أفكر فى هذا الأمر طيلة النهار لدرجة اننى لم أستطع التركيز فى عملى أبداً ..

قالت نورا ببرود :

- لست أفهم .. لماذا تقول لى ذلك ؟

شعر بالألم الشديد وبأنه طفل صغير لا يعرف ماذا يفعل فى هذا الموقف وأخيراً قال :

- خلال الأيام القادمة ربما لا أستطيع الحضور إليك كثيراً كما كنت أفعل فقد حدثت بعض المشاكل ..

قالت بحدة :

- أعتقد انه من الأفضل لك الانقطاع عن الحضور إلى هنا حتى لا يحدث المزيد من المشاكل ..

أدرك أنه تسرع فى الحديث عن المشاكل وانها لفرط حساسيتها ظنت أنه يحاول التهرب منها فقال :

ـ إننى لا أقصد ذلك .. فحياتى لا تساوى شيئاً بدونك ..كل ما فى الأمر أنني أردت تصحيح بعض الأوضاع فى العمل ..

عادت إلى حدتها وقالت :

ـ قلت لك أنه من الأفضل ألا تحضر إلى هنا ..

هتف قائلاً :

ـ إن هذا مستحيل ، لن أنقطع عن الحضور إلى هنا إلا بعد أن أجد وسيلة اتمكن من خلالها من رؤيتك بإستمرار ..

قالت :

ـ وحتى تعثر على هذه الوسيلة فلا داعى للحضور إلى هنا حتى لا تتفاقم المشاكل وتشعر بالحرج ..

قال برقة :

ـ ولكننى لم أقل ذلك يا نورا ..

ـ ريتشارد اننى أشعر بتأنيب الضمير لاستمرار علاقتنا وأعلم جيداً أنك تضحى بالكثير من أجل الإبقاء على العلاقة بيننا .. فماذا تريد بالتحديد ؟

هتف ضارعاً :

ـ نورا .. إن هذا يفوق احتمالى .. أرجو أن تقدرى ذلك ..

قالت برقتها المعهودة :

ـ اننى أفهمك جيداً يا صديقى ولكنك لا تدرى كم أقاسى من الوحدة والقلق وأنا أحرص على التسلل من عملى حتى ألقاك وأختلق الحجج والمعاذير من أجل ذلك .. لقد كانت الفترة الأخيرة صعبة على نفسى للغاية ..

ـ إننى أقدر كل ذلك يا نورا ..

ـ يبدو ان علاقتنا تتجه إلى الفتور ، فى الماضى كنا نسعد باللقاء أما الآن فكلانا

يشعر بالضيق والاكتئاب ..

بدت عليه الحيرة وقال :

- ان الأمر شديد التعقيد ولا أعرف ماذا أفعل ..

قالت بلا تردد :

- قلت لك إن الحل فى غاية البساطة يا ريتشارد ، فما عليك إلا أن تتخلى عنى وسوف تنتهى كل مشاكلك ، فمنذ البداية وأنا أعرف أن النهاية سوف تكون كذلك ..

- ولكن ..

- لا داعى للاعتراض يا ريتشارد إننى أعلم أن لك زوجة وأولاداً فى أمس الحاجة إليك ، كما أنك طبيب ناجح لا حاجة بك للبقاء معى حتى لا تهوى معى إلى القاع بعد أن بلغت القمة فأرجو أن تذهب الآن ..

أخذ يحملق فى وجهها بذهول دون أن يستطيع النطق بكلمة بينما قالت :

- هيا عد إلى بيتك واتركنى وحدى ..

تذكر موقفها الصلب يوم أن التقى بها فى الكوخ وكيف كانت على وشك إنهاء العلاقة بينهما وأصرت على ذلك ولكنها تحولت من النقيض إلى النقيض وأدرك أن عزيمتها لا تلبث أن تنهار كما حدث سابقاً ..

قال لها :

- وأنت .. ماذا ستفعلين ؟..

كان هذا آخر سؤال يخطر ببالها أن يلقيه ريتشارد ..كانت متأهبة للإجابة على كافة الأسئلة ومواجهة الأعتراضات أما هذا السؤال فلم تحسب له حساباً .. لقد وضعها أمام الحقيقة الرهيبة التى لم تفكر فيها ..

تبدلت نظراتها فوراً وأشاحت بوجهها فأدرك أنه أصاب الهدف وان الفراق

بينهما مستحيل ولابد من البحث عن حل يوفر لهما طريقة آمنة للقاء ..
فلا يمكن أن يفرط فى هذا الحب وتلك السعادة ببساطة هكذا .. ولكن ما هى الوسيلة ؟..
قالت نورا بصوت خافت كما لو كانت تتحدث إلي نفسها :
- ماذا ستفعلين ؟..
- سوف أذهب مع فيل ديناردو إلي نيويورك وأعمل هناك ..
فقال بحدة :
- كلا ..لن أسمح لك بالابتعاد عنى بعد ذلك .. سوف أعرض على لوسى الطلاق ! ..
هتفت قائلة :
- الطلاق ؟!..
- نعم .. ان الحياة بعيداً عنك مستحيلة ، والحل الوحيد أن نقترن سوياً إلى الأبد ..
سوف نرحل إلى مكان بعيد عن هنا لنبدأ حياتنا من جديد ..
لم تصدق ما سمعت وظنت ان ريتشارد يهذى فتطلعت إليه وتفرست فى وجهه لعلها تلمح به ما يدل على التردد ..
ولكنها وجدت علامات الإصرار والجدية على وجهه ..
كانت تخشى أن يكون جاداً حتى لاتحطم حياته وتدمر أسرته وفى نفس الوقت كانت تخشى الوحدة بعد أن يتخلى عنها ..
قالت له بلهجة عادية :
- هل أنت واثق من حقيقة شعورك ؟..
- نعم ..
- ولكن العواقب سوف تكون وخيمة .. فهل حسبت حساباً لكل ذلك ؟
قال بإصرار :
- نعم .. انني أفكر فى ذلك منذ عدة أيام .. سوف أصارحها بالحقيقة الليلة وغداً

صباحاً سوف أحضر إليك ..

غداً سوف نبدأ حياتنا نحن الأثنين بداية حقيقية ولن يحول بيننا وبين السعادة شئ اندفعت الفتاة ناحيته وهتفت قائلة :

ـ ريتشارد .. أحبك ..

* * * *

وهناك وفى منزل الدكتور تالبوت كانت الأستعدادات تجرى على قدم وساق للإحتفال بعيد ميلاد بونى ..

كانت بونى قد دعت إليها عدد كبير من الأصدقاء وتعاونت مع والدتها فى إعداد الموائد الحافلة بما لذ وطاب من أصناف الطعام والحلوى والمشروبات ..

وأعدت قاعة الأستقبال كى تكون مكاناً مناسباً للرقص ، وفى المساء تصاعدت أصوات الموسيقى المرحة وأغانى عيد الميلاد وبدا الأمر مبشراً بليلة رائعة ..

توافد المدعوون والأصدقاء تباعاً وبينهم الكتور جويل موريان الذى شارك الشباب لهوهم ومرحهم ..

مر الوقت سريعاً وكانت بونى تترك أصدقاءها بين الفينة والأخري لتسأل عن والدها وهل حضر أم لا ..

وكلما سمعت الإجابة الباردة من أمها بأن والدها لم يحضر بعد شعرت بطعنة الألم تخترق قلبها ..

كانت لوسى تحاول التظاهر بالمرح وعدم الإكتراث لحضور زوجها ولا تلبث أن تذهب إلي ابنتها وتقول لها :

ـ لا داعى للقلق فسوف يعود والدك حالاً ..

ولم يحاول الخوض فى الحديث عن العمل فهو يعلم ان ريتشارد لا يمكن أن يعمل

طيلة هذه الساعات أو يتم استدعاؤه فى مهام عاجلة كل يوم كما يدعي ..

قالت لوسى :

- ولكن أين هو يا جويل ؟

- لا أعلم يا لوسى ..

- جويل .. أرجو أن تصارحنى بالحقيقة .. إن ريتشارد يخفى عنى شيئاً هاماً ولابد أن أعرفه ..

فقال جويل موريان صادقاً :

- لقد حاولت أن أعرف ولكنه رفض مصارحتى ..

هزت المرأة رأسها دون أن تنطق فربت جويل على يدها وقال :

- لا داعى للقلق يا لوسى وأنصحك بعاملته برفق وسوف يصبح كل شئ على ما يرام ..

قالت متلعثمة :

- هل تعتقد ان فى الأمر .. امرأة أخرى ..

أطرق جويل إلى الأرض ، فهو غير واثق من ذلك ولكن كل الظواهر تؤكد وجود هذه العلاقة فقال لها :

- حتى لو حدث ذلك فسوف ينتهى الأمر ويعود زوجك إلى منزله ، فكثير من الرجال يفعلون ذلك ..

هزت رأسها وقالت :

- أهذا رأيك ؟

- نعم .. وأنصحك بأن تدعى فرصة للراحة والأستجمام ولا تحاولى التدخل ،وبعد ذلك حاولى إقناعه بالذهاب فى رحلة طويلة إلى الخارج كأنها رحلة شهر عسل جديدة .. وأنصحك بسرعة اتخاذ هذا القرار لأن ..

ولكنها لم تكن مصغية إليه بل كانت ترقب الباب الرئيسى وفجأة انـدفعت نحـو الباب وهتفت قائلة :

ـ ها هو قد حضر أخيراً ..

ثم قالت للخادمة :

ـ أرجو تجهيز التورته الكبيرة حالاً ..

واتجهت إليه وتعلقت بذراعه وقالت برقة أمام الجميع :

ـ أخيراً جئت ..كم نحن سعداء بحضورك ..

تطلع ريتشارد حوله بدهشة ..

كان يتوقع أن تلقاه زوجته بجفاء كعادتها خلال الفترة الأخيرة وقد أعد خطته بنـاء على ذلك حتى يصارحها بعزمه على الطلاق ..

أما الآن فقد انقلبت الأوضاع تماماً ،ولكن ما هذا الاحتفال ؟..

قال لزوجته :

ـ ما هذه الأضواء كلها ؟ ومن هؤلاء ؟..

قالت زوجته بصوت خافت :

ـ هل نسيت ؟ اليوم هو عيد ميلاد بونى ..

ظهرت الدهشة على وجهه ثم بدا عليه الخجل لنسيانه هذه المناسبة العزيزة وقال لزوجته :

ـ لماذا لم تخبرينى بذلك ؟..

ـ لقد حاولت أن أخبرك صباح اليوم ..

وتذكر ما حدث صباح اليوم وشعر بالحزن لما انتهت إليه الأمور فغمغم قائلاً :

ـ إنه عيد ميلاد بونى ..

ـ نعم .. ويبدو أنك نسيت ..

نطقت العبارة الأخيرة بنبرات تعبر عن الألم والحزن ..

انها لم تكن تتخيل أن ينسى ريتشارد هذه المناسبة مهما حدث ، وتساءلت :

ـ ترى ما هى العوامل القاهرة التى جعلته ينسى ؟! ..

بدا الاضطراب الشديد على وجه ريتشارد وقال لزوجته :

ـ ولكننى لم أحضر لها هدية .. سوف أذهب حالاً لأحضر لها هدية مناسبة فناولته لوسى ربطة صغيرة وقالت :

ـ لقد كنت أتوقع ذلك فأحضرت لك هذه الهدية ، فهيا قدمها إليها وأنا واثقة أنها سوف تعجب بها ..

شعر بضآلة شأنه وبشاعة الجرم الذى هو مقدم عليه ..

هذه هي زوجته التى كان على وشك طلب الطلاق منها .. إنها لا تنسى أى شئ مهما كان ضئيلاً وتنقذه من هذه الورطة بلباقة ..

هتف قائلاً :

ـ لوسى .. إننى لا أعرف ..

لم تشأ أن تجعله يعتذر ويتحمل الألم فقالت له بلباقة :

ـ هيا .. انهم جميعاً ينتظرونك وبونى فى غاية الشوق إليك .. تصرف بهدوء وكأن شيئاً لم يحدث .

ثم دفعته برفق فى ظهره ..

وجد بونى فى انتظاره على باب القاعة فازاداد شعوره بالألم والندم على ما بدر منه تجاهها ..

ما كادت الفتاة تراه حتى اندفعت إليه وطوقت عنقه بساعديها وهى تتصنع الحزن وتقول :

ـ آه يا أبى .. أخيراً جئت ..

وكان ابنه جريج يقف خلفها وهو يشعر بالخجل ..

قال ريتشارد وهو يتظاهر بالمرح والسرور ويحاول التغلب على اضطرابه :

ـ انني شديد الأسف للتأخير يا بونى الحبيبة ..

قالت بونى :

ـ كنت أتوقع أن تكون أنت أول الحاضرين ..

قال متلعثماً :

ـ لقد تم استدعائى فى عمل مفاجئ ..

ثم تذكر نصيحة زوجته فقال :

ـ هيا بنا لنحتفل بعيد ميلاد زهرتى الجميلة ..

قالت الفتاة وعلى وجهها دلائل البشر والسرور :

ـ ألم تنس عيد ميلادى يا أبى ؟..

قال كاذباً :

ـ من المستحيل أن أنسى ذلك .. هل يمكن أن أنسى بوني الحبيبة ؟..

هيا التقطى هديتك من جيبى ..

ثم أشار إلى جيب معطفه فأجرجت بونى الربطة الصغيرة وفتحتها فقال لها ريتشارد :

ـ ما رأيك ؟..

تناولت الفتاة الساعة الأنيقة ووضعتها فى معصمها وهتفت قائلة :

ـ انها رائعة يا أبى .. انها رائعة حقاً ..

ثم هتفت منادية أمها وهي تقول :

ـ انظرى .. إن ابى لم ينس عيد ميلادى وقد أحضر معه هدية رائعة ..

أقبلت لوسى مسرعة وتصنعت الدهشة والسرور وهي تقول :

ـ هل أحضر لك والدك هذه الساعة الجميلة ..

ـ نعم ..

ـ يالها من هدية غالية حقاً .. هيا قبليه ..

فاندفعت الفتاة تقبل أباها بحرارة وهى فى غاية السعادة ..

أما لوسى فقد اكتفت بمشاهدة هذا الموقف الرائع وشعرت بسعادة حقيقية لأنها تمكنت من التغلب على الموقف الصعب ..

وبعد أن ذهبت بونى إلى أصدقائها انفرد ريتشارد تالبوت بنفسه وقال :

ـ يا إلهى . ما الذى أفكر فيه !

* * * *

فى صباح اليوم التالى تم استدعاء ريتشارد إلى المستشفى بصورة عاجلة لإجراء جراحة خطيرة تتوقف عليها حياة مريض ..

هرع إلي المستشفى على الفور وراح يتابع إجراءات إعداد غرفة العمليات ويتابع التقارير الأخيرة عن حالة المريض قبل أن يتصل بنورا ..

كان يعلم أنها تترقب قراره على أحر من الجمر وما كاد جرس التليفون يرن حتى قالت نورا :

- هالوا ريتشارد ..

- نورا ..

- ماذا بك يا ريتشارد .. هل رفضت لوسى الطلاق ؟

كان من الواضح أنها تعانى من القلق والتوتر فقال لها :

- انني أتحدث إليك من المستشفى حيث تم استدعائى لاجراء عملية عاجلة ..

كان يدرك ان الأمر لا يعنى نورا كثيراً وأنها تتعامل مع هذه الأمور بلا اكتراث ، ولا تفهم ضرورة أن يحتفظ الطبيب بثبات أعصابه حتى لا تهتز يده ويرتكب خطأ فاحشا يودى بحياة المريض ..

قالت بصوت يغلب عليه القلق :

- حسناً يا ريتشارد ..

قال لنفسه :

- يا إلهى .. انها مازالت فى انتظار الاجابة على سؤالها ..فهل يضع السماعة ثم يعاود الاتصال بها بعد الانتهاء من العملية ويتعلل بانقطاع الخطوط ؟..

ولكنه إذا فعل ذلك فسوف يظل قلقاً عليها وربما انعكس ذلك على الجراحة الخطيرة التى يوشك على اجراءها ، كما أنه يحبها ولا يكف عن التفكير فيها فى كل لحظة ..

شعر بالارتياح واندفع قائلاً :

ـ نورا ..لم أستطع مفاتحتها فى الأمر .. لقد كنت على وشك أن أفعل ولكن الظروف لم تسمح بذلك ، ولكننى سوف أتحدث إليها قريباً جداً ..

توقع أن تجيب بشئ ولكنها لزمت الصمت فقال :

ـ هل تعرفين ما الذى عرقل خطتى ؟ لقد كان أمس هو عيد ميلاد ابنتى بونى ، وبالطبع كنت قد نسيته ،وعندما دخلت إلي المنزل وجدت ..

فقاطعته قائلة :

ـ من حسن الحظ أنك لم تخبرها ..

ـ ولكنني سوف أفعل ..

ـ الوداع يا ريتشارد ..

كان يود إقناعها ولكن الظروف لا تسمح والوقت ضيق والاستعدادات تجرى على قدم وساق ورأى اثنين من الأطباء مقبلين نحوه فقال لنورا :

ـ سوف أحضر إليك بمجرد الانتهاء من الجراحة ..

قالت بهدوء :

ـ أفضل ألا تفعل ذلك ..

ـ ماذا تقولين ؟..

قالت بحدة :

ـ لا أريد أن أراك مرة أخرى يا ريتشارد ..

قال ضارعاً :

ـ نورا .. أرجوك ..

ـ لا فائدة من الحديث .. الوداع ..

ثم وضعت السماعة ولم تترك له فرصة للحديث .. كان على وشك أن يقسم لها انه سيفعل وسوف يصارح زوجته بكل شيء ..

تقدم منه الدكتور جويل موريان وقدم له رجلا ضخم الجثة وقال :

ـ أقدم له الدكتور اوبرلن من أطباء نيويورك المشاهير ..

رحب به ريتشارد بطريقة آلية وهو لا يعى ما يقول فقد كانت حالته سيئة للغاية ولا يدرى بشيء عما يدور حوله ..

قال الدكتور اوبرلن بلهجة مهذبة :

ـ لقد طالعت مقالك الممتع بخصوص هذا النوع من العمليات الجراحية وأرجو أن تسمح لى بحضورها ..

هتف الدكتور ريتشارد تالبوت على الفور :

ـ آه .. بالطبع .. لا مانع من ذلك ..

* * * *

انطلق ريتشارد إلى منزل نورا بأقصى سرعة بمجرد انتهاء الجراحة ..

كانت نورا جالسة بجوار التليفون تنتظر رد إحدى شركات الرحلات بخصوص حجز تذكرة لها اليوم ..

قررت أن ترحل بعيداً وأن تسترد حريتها مرة أخرى ..

استرخت فى مقعدها وهى تشعر بالراحة لاتخاذها هذا القرار المصيرى .. لقد عزمت عن الابتعاد عنه ولن يثنيها شيء عن ذلك ..

لم تسمع وقع الأقدام المسرعة التى توقفت عند بابها ولكنها سمعت رنين الجرس

بصورة متصلة فأدركت انه هو ..

قررت ألا تفتح له ولكنه راح يدفع الباب بعنف فراحت تقاوم بكل قواها ..

إنها لن تدعه يدخل فلا فائدة من ذلك ولابد ان ينتهى الأمر عند هذا الحد .. إنه لن يفلح فى إثنائها عن عزمها مهما توسل ..

قالت له :

ـ لا فائدة .. لقد انتهى كل شيء .

قال لها بصوت يتمثل فيه انين الشقاء والألم والجزع :

ـ أرجوك يا نورا أن تفتحى ..

تراخت أخيراً وشعرت بالرثاء من أجله وما كاد يدخل حتى راعها منظره .. كان على وشك السقوط من فرط الأعياء ..

هتفت قائلة :

ـ ريتشارد .. ماذا بك ؟

قدمت إليه بعض الشراب وبعد ان التقط انفاسه قال :

ـ ان هذا شيء مروع يا نورا .. لقد كدت أقتل المريض المسكين خلال الجراحة لولا تدخل موريان فى الوقت المناسب .. لقد نسيت ما يجب عمله وعجزت عن السيطرة على يدى !

قالت له بجزع :

ـ ان كل هذا من أثر القلق والتفكير المتواصل ليل نهار .. كل هذا بسبب علاقتك بى .. اننى اللعنة التى حلت بك يا ريتشارد ..

قال على الفور :

ـ كلا يا عزيزتى .. ان هذا ليس ذنبك أنت ..

ـ اننى المذنبة الأولى فلو لم أقتحم حياتك لما حدث لك كل ذلك ، ولكن

معاناتك سوف تنهى لأننى سوف أرحل ..

ـ ماذا تقولين ؟

ـ سوف أرحل بعيداً حتى أدعك تواصل حياتك وتعود مواعيدك للانتظام ..

وفى هذه اللحظة رن جرس التليفون فتناولت السماعة وقالت :

ـ نعم .. أنا نورا .. حسناً .. المقصورة الأخيرة ..

فهتف ريتشارد قائلاً :

ـ كلا يا نورا .. لن ترحلى أبداً .. لن ترحلى مهما حدث ..

ـ لابد أن أفعل يا ريتشارد حتى لا أدمر حياتك وأجلب عليك الدمار والشقاء ..

ـ أرجو ان تمنحينى مهلة صغيرة .. يوما أو يومين فقط وأعدك اننى سأجد فيهما الحل المناسب ..

ـ كلا .. لن نلتقى بعد اليوم وسوف أرحل عن هذه المدينة ، فلا يمكننى البقاء فيها دون أن ألقاك .. سوف أرحل إلى نيويورك .. لقد مللت الترقب والانتظار ويجب أن أدعك لزوجتك وأولادك ..

* * * *

كانت ليلة رهيبة تلك التى قضاها الدكتور ريتشارد تالبوت وحده فى عيادته ..
كان عليه اتخاذ قرار مصيرى .. جلس إلى مكتبه وقد شخصت عيناه وهو يحاول كتابة الصيغة المناسبة فى الورقة المنشورة أمامه ..
لقد قرر إرسال رسالة وداع إلى زوجته يعلن فيها عزمه على الرحيل والاختفاء عن حياتها ، ولكن الأمر بدا له شديد الصعوبة ..
عندما كان بمنزل نورا ظن الأمر سهلاً لا مشقة فيه ..
تمنى أن يرحل دون أن يترك هذه الرسالة المؤلمة ويختفى تماماً ، ولكن هذا مستحيل ..
وراح يتساءل :
- ترى ماذا سيكون رد فعل لوسى ؟
وماذا عن الأولاد ؟ كان هذا أهم ما يشغل باله .. فماذا ستقول لهما زوجته ؟
لقد وعد نورا بالبحث عن حيلة مناسبة خلال يوم أو اثنين على الأكثر ، ولكنه لم يهتد إلى تلك الحيلة حتى الآن والدقائق تمر بسرعة ..
وبدأ يشعر بالقلق والتوتر .. فإن مستقبل عدد من الأشخاص يتوقف على قراره ..
كتب لزوجته قائلاً :
(وخلال الأسابيع الأخيرة حاولت مراراً أن أصارحك بالحقيقة ولكننى للأسف لم أجد خيراً من الرحيل ، وسوف أترك لك كل ما يؤمن مستقبلك أنت والأولاد .. وسوف تجدين بالخزانة ..)
ثم اتجه إلى الخزانة وفتحها وراح يصف ما بها من سندات وعقود تأمين لصالح زوجته وأولاده ولم يأخذ إلا القليل ليعيش به هو ونورا ..

وبينما هو يفعل ذلك سمع طرقاً خفيفاً على الباب فتجاهله وواصل عمله ولكن الطرق عاد مرة أخرى فقال :

- من الطارق ؟

فتح الباب فوجد أمامه المريض بيلى بجسده الواهن وهو شاحب الوجه متقطع الأنفاس ينقل قدميه بصعوبة .. قال لاهثاً :

- من حسن الحظ اننى وجدتك يا دكتور تالبوت .. فإن حالتى سيئة للغاية ..

قال الدكتور تالبوت :

- لقد كنت على وشك الانصراف ..

قال بيلى :

- إن حالة قلبى سيئة للغاية ، وهى المرة الأولى التى أشعر فيها بذلك ..

كان تالبوت يعرف ان الرجل لا يحب الشكوى ولا يستسلم للأوهام كثيراً فأشار إلى أحد المقاعد وقال له :

- حسناً يا مستر بيلى .. تفضل بالجلوس وسوف أرى ماذا يمكننى عمله من أجلك ..

غمغم الرجل قائلاً :

- اننى لا أكاد أستطيع التنفس ..

فأمره الدكتور تالبوت بالتزام الصمت حتى يعد له حقنة عاجلة قبل أن تعاوده النوبة وبينما هو يعد الحقنة صرخ الرجل قائلاً :

- قلبى .. قلبى .. ان الألم يكاد يقتلنى ..

- تماسك يا بيلى .. سوف أنتهى خلال أقل من دقيقة ..

هرع تالبوت إلى الخزانة التى يحتفظ فيها ببطاقات المرضى وراح يبحث عن بطاقة بيلى حتى وجدها أخذ يعد له الحقنة ولكنه قبل ان ينتهى سمع صرخة خافتة فهرع إلى الرجل ليجده يحاول التشبث بالجدار حتى لا يسقط على الأرض ولكنه

هوى فجأة إلى الأرض بدون حراك ..

على الفور هرع إليه تالبوت وحقنه فى ذراعه وانتظر لحظة ، ولكن الرجل كان جثة هامدة ..

راح يفحصه بعناية وتحقق من وفاته وقال لنفسه :

ـ كان من المحتمل أن يعيش لو لم يحاول الوقوف والحركة ، ولكنه على أى حال كان سوف يموت بعد أشهر معدودات ..

تناول تالبوت بطاقة الرجل ليكتب فيها آخر سطر ..

راح يقرأ بيانات الرجل ..

الاسم : والتر بيلى .. السن ٤٣ سنة .

الطول : ٦ أقدام وبوصة واحدة .. الوزن ٧٤ كيلو جرام .

الحالة : مرض خطير بالقلب .

وقبل ان يدون ملاحظته الأخيرة وقعت صدفة عجيبة حقاً ..

فقد وقع بصره فجأة على بوليصة التأمين الخاصة به .. كانت بوليصة تأمين على حياته وتصادف أن كانت بجوار بطاقة بيلى ..

الاسم : ريتشارد تالبوت .. السن ٤٣ سنة .

الطول : ٦ أقدام وبوصة .. الوزن ٧٥ كيلو جرام .

يالها من مصادفة عجيبة .. ان له نفس الوزن والطول تقريباً فيالها من مصادفة غريبة حقاً .

فى البداية لم يأبه لذلك وطلب إدارة البوليس للإبلاغ عن وفاة بيلى .

وبينما كان فى انتظار المكالمة طرأت بباله فكرة جهنمية .

هتف قائلاً :

ـ يالها من فكرة مروعة .. إنها تكفل لى الخروج تماماً من المأزق الذى أمر به .

نسى انه طلب إدارة البوليس وعندما سمع صوتاً يقول :
ـ هالو .. هنا إدارة البوليس ..
لم يجب وراح يقارن بطاقة المريض ببوليصة التأمين ثم وضع السماعة دون أن يتكلم ، وقرر أن ينفذ خطته الجريئة ..أخيراً وجد الحل الذى وعد به حبيبته نورا .
لم يتخيل أن يأتى الحل بهذه السرعة وياله من حل رائع ، وهو فى نفس الوقت شديد البساطة لا تعقيد فيه ، ان ما يفكر فيه لا يخطر على ذهن انسان ..
وعلى الفور أشعل النار فى الرسالة التى كان يكتبها إلى زوجته ووضع الرماد فى منفضة السجائر ثم أعاد بطاقة بيلى إلى موضعها وكذلك أعاد عقود التأمين إلى الخزانة ..
وكان بيلى قد أسقط منضدة صغيرة على الأرض فأعادها تالبوت إلى الموضع المعتاد وفوقها تمثال صغير ولاحظ ان رأس التمثال انكسر عندما سقط ، فراح يعيد لصقه باستخدام مادة لاصقة حتى أعاده إلى ما كان عليه ..
ذهب بعد ذلك إلى جثة بيلى ووقف أمامها يتأملها قليلاً ثم خلع خاتم الزواج ووضعه فى أصبع بيلى ..
كان يتحرك ويتصرف كشخص آخر لايمت للدكتور تالبوت بصلة ..
لقد قرر الاستجابة لنداء القلب والاعراض عن كل ما يربطه بزوجته وأولاده ..
ثار نضال هائل بداخل نفسه وتنازعته شتي العواطف .. انه صراع بين الماضى والحاضر .. ولكنه حسم الصراع بعد
أن وضع الخاتم فى اصبع الرجل المتوفى ، فلم يعد هناك سبيل للتراجع ، كان يعلم انه مقدم على خطوة عظيمة الخطورة ولكنه رغم ذلك شعر بالراحة البالغة فسوف يعيش مع حبيبته دون أن تعلم زوجته أو أولاده وستظل صورته أمامهم نقية لامعة لاتشوبها شائبة ،ولن يعرف أحد منهم ما اقترفه من خيانة فى حقهم ،

وسوف يصير اسمه مقروناً بلقب المرحوم ليصبح مجرد ذكرى ! ..

كان يعلم أن عليه العمل بسرعة حتى يلحق بنورا قبل رحيلها إلى نيويورك ..

لقد فعل كل ذلك من أجلها وسوف يتحمل من أجلها كل الأخطار ويتحدى المصاعب كلها غير آسف على ذلك ..

راح يعمل بسرعة وهو يقول لنفسه :

ـ انها آخر مهمة أقوم بها بصفتى الدكتور تالبوت ..

حمل الجثة بسرعة إلى سيارته حيث أودعها الحقيبة وأغلقها جيداً وانطلق بسيارته إلى أطراف المدينة ..

شعر بالخطر الشديد الذى يكتنفه وقال لنفسه :

ـ ترى ماذا يحدث إذا ما وقع لى حادث قضى على حياتى قبل الاستمتاع بحياتى الجديدة ؟ ..

حاول أن يعمل بهدوء ولا يدع الفرصة للتوتر يتغلب عليه كى ينجح فى مهمته الصعبة ..

أخيراً وصل إلى أطراف المدينة وبدأ يصعد الطريق الجبلى الذى يطل على الخليج حيث وجد المكان خالياً والطريق مقفراً من المارة ..

أوقف السيارة على حافة هاوية سحيقة وفتح أبوابها ثم انتظر قليلاً ..

تناول زجاجة بها كحول سريع الاشتعال وغمر بها السيارة من الداخل والخارج كما سكب بعض الكحول على الجثة ..

وبأصابع مرتجفة أشعل عوداً من الثقاب ثم دفع السيارة إلى الهاوية بعد أن أغلق أبوابها ..

كانت النيران مندلعة بالسيارة وهى تهوى إلى الخليج من هذا الارتفاع الشاقق ..

شعر بالقلق والخوف والنشوة بتحقيق الانتصار ..

ان شخصية الدكتور ريتشارد تالبوت هى التي تهوى إلى القاع مع السيارة ..
وقبل أن تصل السيارة إلى القاع تعلقت بنتوء صخرى ليراها أكبر عدد من الأشخاص كما كان يرجو تالبوت ..
راجع نفسه بسرعة فوجد انه لم يغفل أى شئ وانه قام بالمهمة خير قيام ،وبينما هو يهنئ نفسه لمح زجاجة الكحول عند قدميه فشعر بالجزع ولم يدر ماذا يفعل بها فقذف بها وسط مجموعة من العشب الكثيف ..
عاد إلى المدينة محاولاً تجنب الناس بقدر الإمكان ..
لم يشعر تالبوت بشئ من تأنيب الضمير على ما أقدم عليه من فكرة شيطانية ..
لقد سيطرت عليه العاطفة القوية نحو نورا وفتنته خدعته البارعة فنسى كل شئ عدا ذلك ..
أصبح همه الآن هو اللحاق بنورا قبل أن ترحل الى نيويورك ،إنه لا يريد البقاء وحده بعيداً عنها حتى لا تكون هناك فرصة لمراجعة نفسه وإعادة التفكير فيما فعل ، وهو يريد الحصول على المكافأة الموعودة ..
يريد أن ينعم بوصال الحبيبة نورا ..
وجد نورا تقف على المحطة فلمس ذراعها وهمس بإسمها ..

* * * *

وقفت السكرتيرة جادسون تنظر فى أسى إلى البطاقة المغلفة بالسواد والمعلقة على باب العيادة .. إنها هى نفسها التي وضعتها ..

كان مكتوباً عليها (سوف يتم إغلاق العيادة حتى الخامس عشر من شهر سبتمبر نظراً لوفاة الدكتور ريتشارد تالبوت) ..

وتقرر أن يقوم الدكتور جويل موريان بأعمال الدكتور تالبوت ..

وكان اليوم هو الخامس عشر من سبتمبر موعد افتتاح العيادة فجاء الدكتور موريان فى الموعد المحدد وهو يشعر بالحزن والأسى وبثقل المهمة التى ألقيت على عاتقة فقد كان سلفه الراحل طبيباً بارعاً ..

تبادل التحية مع جادسون التى قالت بحزن :

- هل تصدق أننى مازلت أتوقع وصول الدكتور تالبوت بين لحظة وأخرى ؟ إننى لا أكاد أصدق أنه مات ! ..

وترقرقت الدموع فى عينيها ..

كانت كثيراً ما تتحدث مع الدكتور موريان عن براعة الدكتور تالبوت وعن كرم أخلاقه ..

دخل الدكتور موريان إلى مكتبه وفى نفس اللحظة رن جرس التليفون ، رفع السماعة فوجد ان المتحدثة هى مسز تالبوت أرملة زميله الراحل ..

قال لها : هالو لوسى ..

- هالو جويل .. أرجو ألا أكون أزعجتك ..

- كلا بالطبع .. هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لك ..

- لقد أرسلت ببعض الشيكات إلى البنك ولكنه ردها إلى لعدم وجود رصيد بالحساب ..

هتف جويل قائلاً :

- إن هذا مستحيل .. ومن المؤكد أن هناك خطأ ما ..

قالت لوسى بحيرة :

- لقد علمت ان ريتشارد قام بسحب مبالغ ضخمة من حسابه فى الفترة الأخيرة ،وفى يوم وفاته بالذات سحب مبلغاً ضخماً ولم يذكر لى شيئاً عن سبب ذلك ..

شعر جويل بالحيرة مثلها وقال :

- سوف أبحث هذا الأمر حالاً لأننى لا أعرف شيئاً ، وإذا كنت بحاجة إلى شئ ..

فقاطعته قائلة :

- أشكرك يا دكتور جويل .. فلدينا الكثيرفى حساب الادخار ولكنني فقط أشعر بالقلق لما حدث ..

- معك حق .. سوف أقوم بتحرى الأمر والاتصال بك ..

وبعد أن وضع السماعة قال للسكرتيرة جادسون :

- هل كانت نفقات العيادة كبيرة خلال الفترة الأخيرة ؟

- كلا ..كانت الأمور تسير بطريقة عادية تماماً ولكن لماذا تسأل ؟

قال موريان مرتبكاً :

- لا أعلم حتى الآن .. لا أعلم ..

أدرك موريان أن هناك علاقة وثيقة بما اعترى صديقه خلال الشهور الأخيرة من تغير وبين هذه النفقات الباهظة ،ولكن كيف يتوصل إلى هذه العلاقة ؟..

من المعروف أن ريتشاد شديد الحرص فى الإنفاق عرف دائماً بحب العمل والحرص الشديد على النظام والدقة فى كل شئ حتى أتفه الأمور..

ورغم أن جويل موريان لم يكن مرتبطاً به بصداقة قوية إلا انه كان يلاحظ تغير أحواله بطريقة تثير العجب ..

تذكر جويل ان تالبوت كان يحضر إلى العيادة متأخراً فى الصباح ويبدو عليه الأعياء الشديد والحاجة إلى النوم ، وأخيراً المآساة التى انتهت بها حياته عندما تم العثور على جثته محترقة بين حطام السيارة ثم ما سمعه الآن عن سحب مبالغ كبيرة من حسابه قبيل وفاته ..

ترى ماذا حدث له ؟ ان زوجته لا تعرف شيئاً على الاطلاق ولاشك انه شيء لا يدعو للاطمئنان ..

ولأول مرة دخل إلى غرفة زميله الراحل ..

فى البداية شعر بروح صديقه تحوم حوله وبأنه يكاد يراه فى كل مكان بالغرفة ويتخيله وهو يعمل أو يجلس إلى مكتبه ..

شعر بأنه سوف يجد بغرفته شيئاً يساعده فى إماطة اللثام عن هذا اللغز ..

أزاح الستائر فعم ضوء النهار الغرفة وظهر كل شيء فيها واضح أمامه .. راح يتفحص كل شيء بعينيه ، وتخيل ان كل شيء كما تركه صديقه ..

وقبل ان ينصرف لمح التمثال الصغير فوق المائدة وما به من شرخ بسيط فتناوله وما كاد يلمسه حتى انفصل الرأس فى يده ..

وضع التمثال فوق المكتب وراح يحدق فيه وهو غارق فى التفكير ..

أشعل سيجارة فوجد فى المنفضة آثار ورقة محترقة فالتقطها بحرص وطالع فيها بعض العبارات المتقطعة (عدة أسابيع .. كيف أصارحك ؟ .. أنت والأولاد .. فى حياة رغدة هنيئة ..)

وبسرعة البرق أدرك جويل ان الأمر خطير وعلى الفور هرع إلى إدارة المباحث لتسليمها الورقة المحترقة ..

غادر العيادة وفى الطريق مر بالمصرف لمراجعة حساب الدكتور تالبوت ..

وبعد أن انتهى من ذلك اتجه إلى إدارة المباحث الجنائية وطلب مقابلة رئيس الإدارة حيث لخص له الأمر وقال :

ـ وقد حصلت من البنك على كشف تفصيلي بمسحوبات صديقى الراحل .. اربعمائة دولار .. ثم اربعمائة .. خمسمائة .. ويوم الحادث ستة آلاف وخمسمائة دولار ..

قال له الرئيس :

ـ هل كان الدكتور تالبوت مقامراً ؟

ـ كلا ، ولكننى أشعر بغموض هذا الأمر ولذلك لجأت إليك ..

ـ هل ترك أموالاً كثيرة لأسرته ؟

ـ ترك لهم ما يكفى لحياة طيبة فلم يكن ثرياً ..

ـ هل أنت واثق أنها كانت جثته ؟ انك أنت الذى تعرفت على الجثة ..

ـ فى الحقيقة كانت الجثة مشوهة تماماً ولا يمكننى أن أجزم أنها كانت جثته ..

قال رئيس المباحث :

ـ هل يمكن ان ينتحر الدكتور تالبوت من أجل بضعة مبالغ خسرها ؟

ـ إننى أشك فى ذلك ..

ولكن كيف تعرفت على الجثة ؟

ـ من خلال أشيائه .. ساعته وخاتمه وغيرها ..

ـ من خلال الورقة المحترقة يمكننا أن نستدل أنه كان ضحية لمجرم كان يبتز أمواله بالتهديد ..

هتف جويل قائلاً :

ـ ابتزاز ؟

ـ أعتقد ذلك ، فقد كان يسحب أمواله من البنك بصورة منتظمة ولا يبدو أنه ينفقها على نفسه أو على أسرته ..

ـ ولكن ماذا يوجد فى حياته من أسرار يستغلها المجرمون ؟ لقد كانت حياته بسيطة واضحة تماماً ..

قال رئيس المباحث :

ـ من يدرى يا دكتور جويل ؟ ان هؤلاء المجرمين شديدوا البراعة فى العثور على الفضائح والأسرار الخطيرة التى لا يعرفها سواهم ويحاولون بيعها بأثمان فادحة .. اننى أميل إلى هذا الرأى ويؤكد ذلك المبالغ التى كان يسحبها من البنك وسلوكه الغامض خلال الفترة الأخيرة ، ولكن للأسف فالورقة التى عثرت عليها لا توضح شيئاً هاماً ..

ظهرت الحيرة على وجه جويل وقال :

ـ إننى لا أعلم الكثير عن الدكتور تالبوت ولا يمكننى أن أقدم لك معلومات أكثر من ذلك للأسف ولكننى واثق تماماً أنه راح ضحية جريمة بشعة مدبرة تدبيراً شيطانياً بارعاً ولا يمكن أن تكون قضيةً وقدراً ..

قال رئيس المباحث :

ـ إننى مقتنع تماماً بهذا الرأى .. سوف أذهب الآن لمعاينة حطام السيارة وأرجو أن تأتى معى ..

* * * *

وعلى بعد آلاف الأميال وفى مدينة نيويورك كان ريتشارد تالبوت يضع على عينيه نظارة سوداء وهو يقترب من أحد أكشاك بيع الصحف حيث قال للبائع :

ـ هل توجد لديك أى جريدة تصدر فى سان فرانسيسكو ؟

فقدم إليه الرجل عدداً صادراً فى يوم الأربعاء الماضى ..

كان تالبوت يشعر بالقلق الشديد وهو يطالع الجريدة ولا يتمنى إلا أن يرى نعيه بها .. انتحى جانباً وراح يقلب الصفحات حتى وجد صورته وأسفلها نعيه :

(أقيمت فى كنيسة سانت لوك الصلاة على روح الدكتور ريتشارد تالبوت الذى لقى مصرعه الأسبوع الماضى فى حادث سيارة)

شعر تالبوت بسعادة غامرة وكأنه قرأ تهنئة وليس نعياً .. لقد عانى الكثير خلال الفترة الماضية من القلق خشية انكشاف لعبتة الخطرة ، ولكن ها هو الدكتور تالبوت يموت بصورة رسمية وينتهى كل شيء ، فبإمكانه العيش بحرية ودون خوف .. تنفس الصعداء وهو يشعر بأنه قد تحرر من شخصيته الأولى وأنه اجتاز أصعب المراحل ، ولكن لابد من التذرع بالصبر قليلاً ..

ألقى بالصحيفة فى صندوق المهملات ثم ألقى إليها نظرة أخيرة ودهش عندما وجد فى الصفحة الأخيرة صورة سيارة محطمة ، التقط الصحيفة مرة ثانية وراح يطالع ما كتب بها :

(النائب العام يأمر بالتحقيق فى وفاة الدكتور تالبوت بعد ظهور مفاجآت تدعو للشك فى وفاته)

ارتعد جسده وعاوده القلق والتوتر بشدة فانتزع الخبر من الجريدة ثم أعادها إلى صندوق المهملات وسار يتلفت حوله ..

وضع النظارة على عينيه ثم اتجه إلى الفندق الذى يقيم فيه ويقع فى منطقة منعزلة ..

لم يعرفه البواب لأول وهلة بسبب النظارة وعندما خلعها قال له :

ـ مرحباً بك يا مستر طومسون ..فرد تالبوت التحية ثم دلف إلى داخل الفندق ..

* * * *

عاد تالبوت إلى الفندق وقد ازداد همه وقلقه عن ذى قبل ورأى الخطر محدقاً به من كل جانب بعد أن ظن انه أصبح فى أمان ..

كان قد وعد نورا بالاتصال بها فور عودته إلى الفندق ولكنه نسى ذلك فى غمار خوفه وقلقه وشعر بالحاجة لمصارحة أحد بما يثقل عليه خاصة وانه لم يخبر نورا بشئ بعد أن ظن ان الأمور أصبحت على ما يرام ولا داعى لازعاجها ..

وقد شعر بسعادة طاغية وهو يسافر معها إلى نيويورك ونسى كل شئ عدا أنه يحبها وسوف يقضى معها سنوات من الحب والسعادة بعيداً عن أثقال الماضى ..

واكتشف اليوم فقط أنه كان واهماً ..وقال لنفسه :

ـ ترى ماذا سيحدث عندما يعاد فحص حطام سيارتى ؟

شعر بالخطر الشديد يقترب منه وهو خطر لم يكن فى الحسبان ..كان يظن نفسه يعيش فى أمان فى نيويورك التى تبعد عن سان فرانسيسكو مئات الأميال ، ولكن ها هو الخطر يدركه ..

تري هل سيظل طريد العدالة الى الأبد ؟

لابد أن يعرف كيف يتصرف أمثاله من المطاردين ويفعل مثلهم ويتخذ أساليبهم فى الهروب والتخفى .. إنه يهرب من نفسه ؟

وعلى الفور دخل إلى الحمام لإزالة شاربه وبينما هو يفعل سمع طرقات خفيفة علي الباب فهتف بجزع :

ـ من بالخارج ؟

قالت نورا برقة :

ـ ألا تعرفنى ياعزيزى ؟ هل يمكننى التحادث معك الآن ؟

ـ بعد قليل سوف ألحق بك ..

قالت ضاحكة :

ـ ان هذا الأمر يـثير القلـق والريبـة .. حـسناً .. سـوف أذهـب لاسـتبدال ثيـابى استعداداً للعشاء ..

انتهي الدكتور تالبوت من إزالة شاربه وقال لنفسه :

ـ ليت الأمر كان سهلاً فيما يتعلق بإزالة كل صفات الدكتور تالبوت مثل إزالـة الشارب ..

لحق بنورا على مائدة العشاء ولكنها لم تلاحظ أنه أزال شاربه فقد كانت مشغولة بثوب السهرة الجديد الذى كانت ترتديه فقالت له :

ـ ما رأيك فى هذا الثوب ؟

راحت تعرض عليه الثوب الرائع الذى يبرز محاسنها فقال :

ـ إنه رائع للغاية ..

كانت قد دفعت ثمناً باهظاً لشراء الثوب من أجل إرضاء حبيبها فقط فقالت :

ـ لقد اشتريت أشياء كثيرة .. انتظر حتى أعرضها عليك ..

وأدهشها وجوم تالبوت وعزوفه عن الحديث وكانت تتوقع أن يظل يمتـدح ثوبهـا الرائع وقتاً طويلاً فقالت :

ـ هل تراه ثوباً راقياً ثميناً ..

قال بطريقة آلية :

ـ آه ..بالطبع ..انه رائع ..

شعرت بالألم وقالت :

ـ كلا يا ريتشارد .. إنك اليوم مختلف تماماً عما أعرف ..

ـ هل تعتقدين ذلك ؟..

ـ ما هذا ؟ لقد أزلت شاربك ..لقد كنت أحبك وأنت فى صورتك الأولى ..

استعاد بعض هدوئه وقال :

ـ سوف أعيد اطلاق شاربى مرة أخرى ..

ثم أردف قائلاً :

ـ إن الثوب رائع للغاية وأنت متألقة الجمال فيه لدرجة عظيمة ..

ابتسمت ابتسامة مشرقة وهى تقول :

ـ حسناً .. أرجو أن تصحبنى اليوم إلى نادى فيل دينادرو ..

وكان هذا ما يخشاه ريتشارد ولا يحب أن يفعله ، كـان علـي ثقـة ان فيـل دينـاردو يحب الفتاة حباً عظيماً وأنه يغار منه وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يعرفه فى حياته السابقة وهذا شئ خطير للغاية ..

شعر بالضيق الشديد والغيرة من هذا الرجـل الكريـه وأصـبح الآن يغـار منـه ويخشاه فى نفس الوقت .. فلابد أن يتجنب لقاءه مهما حدث ..

ـ هيا بنا نذهب إليه فى النادى ونفاجئه ..لاشك أنها سوف تكون مفاجـأة مذهلـة كما انه سوف يدهش عندما يعلم أننا نقيم هنا ..

قال تالبوت معترضاً :

ـ كلا .. من الأفضل إلا نذهب إلى هذا الرجل ..

ـ لماذا يا ريتشارد ؟ ان الرجل يكن لى تقديراً عظيماً ومن المؤكد انه سوف يلقانـا بالترحاب ..

ـ كلا يا نورا .. اننى لا أحب أن أراه هو أو أى أحد من الذين كنت أعرفهم فـى سان فرانسيسكو .. لابد أن نتـوخى غايـة الحـرص والحـذر حتـى يـصدر حكـم الطلاق ..

ظهرت علامات الدهشة علي وجهها وقالت :

ـ ولكن لماذا متخفى عن أعين الناس ؟ هل فعلت ما تخشاه ؟

ـ كلا بالطبع ، ولكنني لا أحب أن ألقى معارفى وأجيب عن أسئلتهم الـسخيفة ،

انني أريد الحصول على تصريح عمل كطبيب هنا فى نيويورك وهذا الأمر يتطلب مجهوداً كبيراً .. وقد انتحلت اسم طومسون حتى ينتهى كل شئ ..

- اننى حريصة عليك أشد الحرص ولكنني فى نفس الوقت أشعر بالحيرة البالغة لحرصك الشديد فى الابتعاد عن أعين الناس ..اننا لم نذهب إلى أى مكان منذ جئنا إلى نيويورك ..

شعر بالضيق لولعها الشديد بالانطلاق والسهر بعد أن كان يعشق تلك الصفة فيها فقال :

- لدى اقتراح طيب ..لماذا لا نتناول طعام العشاء فى أحد المطاعم الصغيرة ثم نذهب إلى السينما ؟ اننا لم نذهب إلى السينما منذ جئنا إلى هنا ..

- ولكن هذا الثوب ملائم للسهرات وليس للسينما ..

- أعدك بأن أهيئ لك الفرصة لارتدائه قريباً ..

هزت كتفيها وقالت :

- حسناً يا عزيزى ..سوف أرتدى ثوباً آخر ..

بدا عليها الضيق والامتعاض وهما فى طريقهما إلى السينما ولم يستطع تالبوت أن يزيل أسباب ضيقها لأنه لا يريد مصارحتها بالحقيقة ، وقد بدأت تضيق بالعزلة التى فرضها عليها والإقامة فى الفندق المنعزل لعدة أشهر ..

فى البداية لم تهتم بالأمر وكانت تشعر أن من حق ريتشارد الابتعاد عن المجتمعات الصاخبة وتجنب معارفه القدامى ولكنها بدأت تضيق بذلك ، فهى لم تخلق للحياة الهادئة المغلقة وتنفر من الاستخفاء والتستر ..

كانت تظن أنه متأثر لفراق بيته واسرته فأسرفت فى العناية به ومعاملته برفق ولكن حالته كانت تتدهور مع الأيام ..

وأرجعت سبب نفور ريتشارد من الظهور فى المجتمعات إلى خجله منها ..

شعرت فى النهاية بالضيق الشديد من كل شئ وبالرغبة القوية فى العـودة مـرة أخرى إلى حياة الأضواء التى اعتادتها ..

* * * *

بدأت معاملة نورا لريتشارد تميل إلى الفتور فى الفترة الأخيرة بسبب حرصه الشديد علي الاستخفاء وتجنب الظهور أمام الناس وصارحته بذلك ..

خشى ريتشارد أن يخسر كل شئ إذا ماهجرته نورا التى ضحى من أجلها بكل شئ ولم يجد بداً من التخفيف قليلاً من القيود التى يفرضها على نفسه ..

كان يأمل في الزواج من نورا والحياة معها بصورة طبيعية وكان هذا أيضاً هو أملها الذى تحيا من أجله ..

كان حريصاً على شراء الصحف من ذلك المحل القريب من الفندق لمعرفة أخبار الحادث فى سان فرانسيسكو وكيف تسير التحقيقات ..

وخلال الشهر الأخير لم يطالع حرفاً واحداً عن الحادث فقال لنفسه :

- يبدو أن التحقيق انتهى بدون الوصول إلى نتيجة ..

وظن أن الأمر سوف ينتهى عند هذا الحد وتدخل القضية إلى زوايا النسيان كغيرها من القضايا ..

عاد إلى الفندق بعد أن طالع الصحيفة الصادرة فى سان فرانسيسكو حيث وجد نورا جالسة فى غرفته ..

قبلها قبلة فاترة ثم استلقى فى أحد المقاعد ووضع ربطة كان يحملها بجواره فأشارت نورا إليها وقالت بلا اكتراث :

- ما هذا ؟ هل هى كتب جديدة ؟..

- نعم ..

قالت بلهجة ساخرة :

ـ لقد مللت من الكتب يا ريتشارد .. لقد طالعت الكثير خلال الفترة الأخيرة وسوف أصبح من العلماء ..

أدرك تالبوت انها سوف تواصل الشكوى فقال مغيراً مجرى الحديث:

ـ انك رائعة اليوم يا نورا ..

قالت ببرود :

ـ هل تعتقد ذلك ؟ ..

ـ نعم .. هل أحضر لك أى مشروب من الطابق الأول ؟..

هتفت قائلة :

ـ وما فائدة ذلك ؟ إن الملل سوف يقتلنى يا ريتشارد فلم أعد استطيع تحمل هذه الحياة الشاقة ..

قال ريتشارد بهدوء ليخفف حدة التوتر :

ـ لابد من الصبر قليلاً ياعزيزتى .. أعلم أنك تعانين من الملل والقلق ولكنك تعرفين الأسباب ..

قالت بلهجة تنم عن الضيق :

ـ نعم .. وأعرف ان علينا الالتزام بالحرص الشديد حتى تحصل على الطلاق .. ولكن هل سيتم الطلاق حقاً ؟ كان من المفروض أن ينتهى الأمر منذ فترة طويلة وأن نعيش فى منزل خاص بنا كأى زوجين ..

وفى نفس الوقت أين المكان الذى ستخصصه لعيادتك ؟ إننى لا أراك تخرج من هذا الفندق البغيض المنعزل ! ..

قال ريتشارد :

ـ اننى مثلك أشعر بالضيق الشديد والنفور من كل هذه الأوضاع ولكن أرجو الصبر ..

فصرخت قائلة :

ـ لقد مللت من هذه الكلمة .. الصبر .. إنك لا تفعل شيئاً منذ شهور ولا تذهب إلى أى أحد ليحل مشكلتك فكيف تتحسن الأمور ؟ اننا لا نستطيع السير فى وضح النهار مثل باقى الناس ..

كان يلتمس لها العذر فى ثورتها ، فقد تحملت معه الكثير دون أن تعرف الحقيقة الرهيبة ولاداعى لأن تعرفها ..

غمغم قائلاً كما لو كان يتحدث إلى نفسه :

ـ يبدو اننى تجاوزت الحدود فى الحذر والحرص وأن الأمر لا يستحق كل ذلك ..

قالت نورا على الفور :

ـ معك حق يا ريتشارد ..اننى لا أعرف ماذا يخيفك ؟ هل تخشى أن يرانا أحد معاً ؟ لا أعتقد ان هذا شئ مخيف ..

شعر بالسعادة لعودة الحيوية والمرح إلى حبيبته نورا وتذكر ان الصحف بدأت تغفل أى إشارة إلى الحادث وقال :

ـ حسناً يا نورا .. هل تريدين الخروج الليلة ؟

قالت بلهفة :

ـ نعم .. كم أتوق إلى الذهاب إلى الأماكن المزدحمة والاستماع إلى الموسيقى والغنله ومشاركة الآخرين المرح والرقص .. إننى أكاد أموت من فرط الركود ..

كان يخالجه هذا الشعور فقال وهو يمسك بيديها :

ـ حسناً يا نورا .. سوف أذهب معك إلى المكان الذى تريدين بمجرد انتهائك من استبدال ثيابك ..

وعلى الفور ذهبت نورا إلى غرفتها وهى تشعر بتدفق دماء الحياة فى شرايينها أخيراً وتعجبت لماذا بذلت كل هذا الجهد لإقناع تالبوت بالخروج من عزلته

البغيضة التي فرضها عليها فرضاً ..

كان من الطبيعى أن تطلب نورا الذهاب إلى نادى دينــاردو ولم يـستطع ريتـشارد التراجع عن وعده فذهبا معاً إلى النادى الأنيق الصغير ..

وجد أن رواد النادى من الفئات المنتقاة من المجتمع .. قال ريتشارد للجرسون :

- هناك مائدة محجوزه باسم طومسون ..

وقالت نورا :

- نعم ..ان مستر ديناردو يعلم بمجيئنا ..

وفى نفس اللحظة ظهر مستر ديناردو بوجهه الوسيم وعينيه الـساحرتين وثيابـه الأنيقة وأسلوبه الرقيق المهذب فشعر ريتشارد بالغيرة ..

قال له الجرسون :

- كانت السيدة تقول أنك تعلم بمجيئهما ..

انحنى ديناردو أمام نورا وقال :

- إننى دائماً أءتوقع مجئ السيدة ولكنها للأسف لا تحضر إلى هنـا كـثيراً .. كيـف حالك يا نورا ؟..

- إننى بخير يافيل .. أعتقد انك التقيت بالمستر طومسون من قبل ؟..

- نعم .. كيف حالك يا سيدى ..

- بخير ..

قادهما ديناردو إلى مائدة أخرى وقال :

- إننى سعيد للغاية بوجودكما هنا فى هذا المكان المتواضع ..

قالت نورا :

إنه رائع للغاية ..

لاحظ تالبوت ان الرجل يعامله بفتور شديد ولا يحترمه بالدرجـة الكافيـة .. انـه

بالطبع يعامله بطريقة مهذبة ولكنه يتعمد تجاهله والحط من شأنه ..

راح ديناردو يتحدث إلى نورا بعد أن جلس بجوارها بينما كان ريتشارد يراقبهما في صمت ..

كان ديناردو يتأمل ثوبها الرائع وجمالها الساحر وقال لها :

ـ لقد أصبحت رائعة الجمال يا نورا .. متى جئت إلى نيويورك ؟

ترددت قليلاً ثم قالت :

ـ منذ .. منذ فترة طويلة ..

ظهرت على وجهه الدهشة وقال :

ـ من الواضح انك لم تحرصى على زيارتى ..

ـ هناك من الأسباب ما حال دون ذلك ..

فقاطعها ريتشارد قائلاً :

ـ أعتقد أن مستر ديناردو لا يهتم بشئوننا الخاصة !

قالت نورا :

ـ ولكن يجب أن يعلم أننا ننوى الزواج ..

بدت علامات الضيق علي وجه الرجل وقال :

ـ تقبلا تهنئتى .. بالطبع تعرفين أنني غير سعيد بذلك ولكن .. لابأس .. إنك رجل سعيد الحظ يا مستر طومسون ..

فى تلك اللحظة اقترب منهما مصور متجول فكاد ريتشارد يصعق حينما رآه ولاحظ ديناردو ذلك فقال :

ـ ما رأيكم فى أن يلتقط الرجل لنا صورة معاً ؟

هتف ريتشارد على الفور :

ـ كلا .. كلا .. لاداعى لذلك ..

قالت نورا :

ـ فهناك قضية طلاق مازلت معروضة أمام المحاكم ولابد من الحكم فيها أولاً ..

صرف دينياردو الرجل وقال :

ـ لقد ظننت انها قضية قتل أو سرقة ..

قال ريتشارد ببرود :

ـ يمكنك الذهاب إلى عملك يا مستر دينياردو فلا داعى للتقيد بنا ..

انصرف الرجل وهو يشعر بالضيق بعد ان وعد نورا بإرسال المشروبات على حسابه ..

وبعد أن انصرف قالت نورا لريتشارد :

ـ لقد تصرفت بطريقة سيئة للغاية ياريتشارد .. انه صديق قديم على كل حال ..

ـ لا داعى لإثارة المشاكل ياعزيزتى .. لقد جئنا إلى هنا للهو والمرح فهيا بنا نرقص

وبعد دقائق من الرقص تلاشى أثر تلك السحابة العابرة ..

كانا يرقصان على نغمات لحن تعشقه نورا ويعلم دينياردو بذلك فتعمد أن يوقع هذا اللحن ..

عادا مرة أخرى إلى نشوة الحب وسعادة الغرام التى لحقها بعض الفتور خلال الأيام الأخيرة ..

ولكنها كانت سعادة قصيرة العمر حقاً .. ففى نفس اللحظة كادا يصطدمان براقصين آخرين فاعتذر ريتشارد للرجل الذى توقف عن الرقص وراح يحملق فى وجهه وهو يقول لنفسه :

ـ لقد رأيت هذا الرجل من قبل ولكن أين ؟ اننى واثق من ذلك ..

كان هو الطبيب الذى حضر من نيوريوك ليشهد العملية التى أجراها تالبوت فى سان فرانسيسكو ..

أما تالبوت فقد عرف الرجل فوراً وقبض على ذراع نورا بخشونه وقال :

- هيا بنا .. سوف ننصرف فوراً ..

* * * *

هبت العاصفة قوية هذه المرة ..

أدركت نورا ان الأمر أكثر خطورة مما يدعى ريتشارد ولم تعد مقتنعة بما ذكره لها من أعذار واهية ، وكان رد الفعل قوياً هذه المرة لأن حبيبها انتزعها من غمرة السعادة والبهجة ..

لقد دفعها ريتشارد أمامه عنوة بدون مراعاة لمشاعرها حتى أنها لم تودع دينياردو الذى أكرم وفادتها بعد أن استقبلها أحسن استقبال ..

فاض بها الكيل وقررت أن تضع حداً لكل ذلك ..

وقف ريتشارد فى وسط الغرفة حزيناً يائساً كالطفل المذنب وقال :

ـ اننى آسف لما حدث .. لقد أفسدت الليلة ولكننى سوف أعوضك عنها .. طابت ليلتك ..

ازداد عجبها لسلوكه غير المتوقع .. فهل يعتبر الأمر منتهياً عند هذا الحد ؟

لاشك انه أصبح مجنوناً ..

وشعرت بالضيق من هذا التصرف الأخير اكثر مما شعرت به فى النادى

قالت لنفسها :

ـ انه لا يعلم شيئاً عن حقيقة عواطفى ولا يمكنه أن يفهمنى يوماً ..

وراحت تتساءل :

ـ ما الذى دفعه لسلوك هذا المسلك العجيب فى النادى ؟ لا ريب أن هناك سبباً قاهراً دفعه لذلك فلماذا لم يحاول أن يوضح الأمر ؟

من حقى أن أعرف كل شيء ..

وراحت تلوم نفسها لأنها أطاعته وانصرفت دون أن تعرف السبب ولأنها لم تسأله عن الحقيقة ولاذت بالصمت ..

شددت عزيمتها وقالت له :

ـ ريتشارد .. اريد أن أتحدث معك الآن ..

قال بصوت تبدو فيه آثار الإرهاق :

ـ ألا يمكن تأجيل الحديث إلى الغد ؟ إن رأسى يكاد ينفجر ..

فقالت بحدة :

ـ كلا .. لابد من إتمام الحديث اليوم ..

هم بالأعتراض ومغادرة الغرفة ولكنها قالت له :

ـ لماذا بدا عليك الخوف والرعب عندما رأيت ذلك الرجل ؟

فقال بصراحة :

ـ انه طبيب التقيت به فى سان فرانسيسكو من قبل وأخشى أن يتعرف على ..

قالت بلهجة حادة :

ـ كلا يا ريتشارد .. اننى لا أصدقك ومن المؤكد أنك تخفى شيئاً عنى ..

ولكنه لاذ بالصمت فقالت :

ـ ألا تريد مصارحتى .. حسناً ..

ثم استدارت لتغادر الغرفة وهى تشعر أن صرح آمالها على وشك الانهيار .. كان الأمر معلقاً على كلمة منه ، فإذا لم يناديها فسوف تذهب بلا عودة وكفى ذلك ..

كيف تعيش مع هذا الرجل الذى لا يثق بها ولا يأتمنها على أسراره ؟

هتف ريتشارد قائلاً :

ـ نورا .. أرجو أن تعودى ..

تناول يدها ثم صعد إلى غرفته وقدم إليها بعض قصاصات الورق كان يخفيها تحت ثيابه دون أن ينطق بكلمة ..

وما كادت تطالع نبأ حادث موته وسط حطام السيارة واحتراق جثته حتى تجمد جسدها وشعرت بخوف هائل ..

ودهشت عندما وجدت على وجهه دلائل الثقة والإطمئنان وكأنه نقل إليها كل ما كان يسبب له الضيق والقلق .. قال لها :

- هل عرفت الحقيقة الآن يا نورا ؟ كيف تتخيلين الموقف عندما يرانى أحد معارفى القدامى وهو يعلم اننى ميت ؟ لقد حاولت مصارحتك ولكننى عجزت عن ذلك خوفاً عليك ..

أخيراً عرفت الحقيقة وفهمت سر سلوكه العجيب ولكنها عجزت عن النطق بكلمة واحدة .. انه يحبها وقد فعل كل ذلك من أجلها كما انه لم يتهرب منها بل كان يحرص على شعورها ، ولكن الأمر شديد الخطورة .. وثار بذهنها سؤال مخيف فقالت على الفور :

- من هو الرجل الذى كان بالسيارة وكيف مات ؟

قال لها بهدوء :

- كان أحد مرضاى ويدعى بيلى ..

- هل أنت الذى ..

قال بمرارة لاذعة :

- كلا يا نورا .. لست أنا الذى قتلته ، فقد مات بنوبة قلبية فى العيادة ..

فقالت معترضة :

- ولكن ساعتك وخاتم الزواج والمفاتيح ..

- نعم يا نورا .. انها خاصة بى وقد تعمدت ذلك حتى يمكننى الرحيل معك

والعيش بحرية بعد أن تموت شخصيتى الأولى ..

فبعد ان تركتك فى تلك الليلة ووعدتك بالبحث عن حل للمشكلة رحت أعصر ذهنى دون جدوى فكتبت رسالة إلى زوجتى لوسى أصارحها بالحقيقة ولكننى لم أجرؤ على إرسالها وعند ذلك أقبل بيلى ..

شعرت نورا بالحزن الشديد والإشفاق عليه كما حزنت لأنها أرغمته على البوح بسره الرهيب فقالت :

ـ ليتك تخليت عنى يا ريتشارد ولكنك كنت متمسكاً بى بصورة عجيبة وقلت لى أنك سوف تجد حلاً لمشكلتنا ، وها أنت وجدته ولكنه حل مخيف .. رهيب ..

وبعد قليل أردفت قائلة :

ـ ريتشارد .. لاشك أنهم سوف يعرفون الحقيقة .. يا إلهى إن هذا شيء مخيف ؟

قال ببساطة :

ـ لا أعتقد ذلك ، لقد ساورتهم بعض الشكوك بالفعل وبدأوا التحقيقات ويبدو انهم لم يتوصلوا إلى شيء فلم تنشر الصحف أخبار عن ذلك ..

ـ ألم يبحث رجال البوليس عن بيلى ؟

ـ لست أدرى ولكن الرجل كان يعيش وحده وليس له أهل أو أصدقاء ، ولا يوجد ما يدل على ارتباط مصيره بمصيرى ..

شعرت أن أملها فى حياة سعيدة قد تلاشى فقالت :

ـ لقد انتهى كل شيء فلن يمكنك العمل كطبيب ولن يمكننا الزواج !

قال بأسى :

ـ كنت فى البداية أظن أننى عثرت على الحل ولكن يبدو أننى أوقعت نفسى فى مأزق لا فكاك منه ..

كان عقلها يدعوها إلى التخلى عنه والابتعاد عن طريقه خشية العواقب ولكنها

ما كادت تلمح نظرات البراءة والحب فى عينيه حتى قالت :

ـ لابد من العمل على إيجاد وسيلة لإصلاح ما فسد .. سوف أبحث عن عمل لأنك لن تتمكن من ممارسة مهنتك فى الوقت الحالى ..

تهدج صوته وهو يقول :

ـ نورا .. هل تبقين معى ؟ ألن تتخلى عنى ؟

قالت بدهشة :

ـ ماذا تقول يا ريتشارد ؟ انك لم تقدم على هذه المخاطرة إلا من أجلى .. سوف أواجه معك العاصفة ..

وفى تلك اللحظة وجد يدها أمامه فقبلها إعراباً عن شكره وامتنانه ..

* * * *

كان من الضرورى أن يعمل أحدهما لمواجهة نفقات الفندق المتواضع وباقى النفقات الضرورية ولذلك لجأت نورا إلى صديقها دينادو لتعمل كمغنية فى النادى الذى يملكه ، وكان الرجل كريماً معها ولم يحاول أن يسألها عن شىء من أسرارها ..

أما ريتشارد فلم يجد ما يفعله سوى البقاء فى الفندق والاستسلام لأفكاره المخيفة ويأسف على فشل خطته ..

شعر بالحزن والأسى لما آل إليه مصيره .. فهو الآن حبيس الفندق أسير الظلام لا يمكنه السير فى الشوارع إلا متخفياً ..

انه لم يرتكب إلا جريمة بسيطة وهى تشويه جثة بيلى عقب وفاته وإضفاء شخصيته عليه ..

جريمة لا تقارن بما يطالعه فى الصحف من جرائم مروعة ، فالرجل مات بصورة طبيعية وليس له أهل يبحثون عنه أو يحزنون لفراقه ..

شعر بالحزن البالغ لأنه أصبح مطارداً هارباً من القانون ومن الناس وهو الذى قضى حياته مرفوع الرأس طاهر الذيل بعيداً عن كل شبهة ومما ضاعف حزنه تفكيره فى مصير زوجته وولديه ..

كان الشيء الوحيد الذى يعزيه هو وجود نورا بجواره ، ولكنها منذ عادت للعمل أصبحت تتغيب ساعات طوالا بالنهار لحضور البروفات وفى الليل تغنى ، وهكذا أصبحت بعيدة عنه معظم اليوم ..

حتى العمل الذى يحبه ويجد فيه نفسه وهو ممارسة الطب منه تماماً ولم يعد بإمكانه

ممارسته .. فلم يعد يربطه بالحياة إلا علاقته بنورا ..

وبدأت حالته النفسية والعصبية فى التدهور التدريجى ..

وجد كل الطرق والأبواب مغلقة فى وجهه حتى الخروج من الفندق كان يخشاه فلجأ إلى الخمر التى كان الحصول عليها سهلاً للغاية ، فما عليه إلا أن يضغط على الجرس ليأتيه الخادم بها ..

راح ينزلق إلى الهاوية تدريجياً ودون أن يشعر ، وشهدت غرفته بالفندق الفصول التالية للمأساة ..

كان يتحدث إلى نفسه قائلاً :

- هل انتهى كل شيء ؟

هل تحطمت كل الأحلام والأمانى ؟

وجد أنه ضحى بكل ما يملك وتخلص من شخصيته من أجل ماذا ؟ من أجل أن يصبح مطارداً ضائعاً وحيداً ..

فى كل يوم يفقد جزءاً من كرامته التى حرص عليها أشد الحرص من قبل ، وتبدل مظهره وهيئته تبدلاً مخيفاً .. حتى علاقته بنورا وعواطفه لم تسلم من التغيير ..

شعر بالغيرة الشديدة منها .. انه يغار عليها بسبب صلتها بديناردو ويغار منها لأنها تعمل وتمرح وتمارس حياتها الطبيعية ..

كان يفكر فيها بصورة مرضية .. إنها تلتقى بعدد كبير من الأشخاص بعيداً عنه ، فهل تستطيع الاحتفاظ بسره أمامهم ؟

إنها تعود إليه وهى مرهقة من العمل وبعد ان تفتر روح المرح والنشاط بداخلها .. انها تحيطه بالعطف والاهتمام والرعاية ولكنه يشعر معها بالضياع ..

انهما يحاولان مقاومة التيار العنيف ولكن العاصفة لابد أن تهب وتحطم كل شيء ..

شاءت الظروف ان تلتهب نيران الغيرة بقلبه . ففى أحد الأيام قرأ الفقرة التالية فى إحدى المجلات الفنية :

(وقد لاحظت أن عينى ديناردو تتألقان عندما تشدو نورا زنتيس)

وعلى الفور اتصل بالنادى وطلب محادثة نورا فقال له الذى تلقى المكالمة :

- إنها ليست هنا أمامى الآن .. ربما تقوم بعمل البروفات ..

فصاح ريتشارد بحدة :

- إذهب للبحث عنها .. لا تهمنى البروفات ..

وعندما جاءت نورا عجز عن النطق بكلمة ووضع السماعة بعنف وراح يغرق أحزانه فى الشراب .. وبعد انتهاء البروفة عادت إليه وهى مرهقة ولم تنطق بحرف ولكن نظراتها كانت تعبر عن العتاب واللوم .. وجدته طليق اللحية مشعث الشعر ..

قال لها :

- هل قضيت يومك كله فى عمل البروفات ؟

- نعم .. فهو عرض جديد ويحتاج إلى بذل المزيد من الجهد ..

قال بسخرية :

- اننى أشعر بما تبذلينه من جهد ..

قالت بهدوء شديد :

- اننى لم أبحث عن هذا العمل إلا بعد أن ألجأتنا الضرورة إلى ذلك كما تعلم ، ولذلك لابد أن نرضى بالأمر الواقع دون اعتراض ..

- هل تتناولين طعام العشاء معى الليلة ؟

- كلا .. فسوف أعود إلى النادى بعد قليل للعمل ..

فقال بحدة :

ـ ولكننى أشعر بالضيق والملل وأعانى من الوحدة الشديدة ..

ـ اننى أحاول البقاء معك لأطول وقت ممكن ..

وتذكر كيف كانت تشكو من الوحدة والانتظار فى سان فرانسيسكو وآلمه انقلاب الوضع وتذكر الحقيقة المؤلمة ..انه يعيش من كدها وعرقها ..

وفى تلك اللحظة سمعا طرقات خفيفة على الباب وعلى الفور ظهرت على وجه ريتشارد علامات الخوف والقلق وسألها بجزع :

ـ من هذا ؟

كان يعلم انها لاحظت ما بدى عليه من خوف وانزعاج ولكنها تظاهرت بالعكس واتجهت صوب الباب بهدوء فوجدت غلاماً صغيراً يعطيها ربطة وإيصالاً للتوقيع بالاستلام ..

قال لها ريتشارد بحدة :

ـ ما هذا ؟

ـ انتظر حتى افتح الربطة ..

كانت حلية ثمينة ومعها بطاقة فيل ديناردو فصرخ ريتشارد قائلاً :

ـ يالها من هدية قيمة .. لماذا يرسل إليك الرجل بها ؟ ان الرجل لا يقدم للمرأة هدية من الحلى إلا إذا كان ..

قاطعته قائلة :

ـ انه رجل مهذب وكريم ..

ـ كلا .. انه لا يدفع ثمناً باهظاً للهدية إلا لغرض ما فى نفسه ..

تمالكت نورا أعصابها ولم تترك العنان لغضبها بل ابتسمت بهدوء ونظرت إليه نظرة عتاب فازداد غيظه ، فلو انها ثارت فى وجهه لهدأت نفسه ..

كانت تقدر معاناته الشديدة ووحدته القاسية ومآساته المروعة ، كما أنه مضطر

للاعتماد عليها فى كل شيء ومن الطبيعى ان تنتابه هذه الثورات الجامحة ..

قالت لترضيه :

- سوف أعيد إليه الهدية حتى تشعر بالسعادة ..

فقال بعناد :

- اننى لست مغفلا وأعرف ما يدور بينكما ..

قالت بصوت واهن :

- أرجوك يا ريتشارد لا داعى للشجار .. اننى فى غاية الإرهاق ومازال أمامى عمل شاق فى المساء .. سوف أعود إلى النادى الآن ..

كان كل ما تفعله يجعله يزداد احتقاراً لنفسه وشعوراً بالذل والمهانة .. ليتها كانت تسيء معاملته حتى يلتمس لنفسه العذر فى إساءة معاملتها ..

وبينما هى تغادر الغرفة قبض على خصرها بقوة فانكمشت وظهر الخوف على وجهها فقال بصوت خشن :

- ماذا حدث ؟ هل بدأت تخافين منى ؟ ان هذا لم يكن يحدث من قبل ..

كانت الإهانات تتلاحق عليها وكان ريتشارد يتردى فى أخطائه دون أن يشعر فقبلها عنوة ولكنها تخلصت منه ونظرت إليه باحتقار وقالت :

- هل انتهى ذلك ؟

شعر بأنه يتخبط فيما يفعل ولا يعرف كيف انحدر إلى تلك الهاوية ، وبدون أن يفكر تقدم نحوها وصفعها صفعة هائلة ..

كانت المرة الأولى التى يفعل ذلك فتراجعت إلى الوراء ثم اندفعت إلى غرفتها فدخلتها وأغلقت الباب بينما هو وقف أمامه يهتف باسمها بصوت ملئ بالألم ..

* * * *

انتهت نورا من عملها بنادى ديناردو فجلست فى غرفتها لإزالة آثار المكياج وللاستعداد للعودة إلى الفندق حينما طرق الباب وسمعت صوت ديناردو فسمحت له بالدخول ..

قال الرجل :

- من الواضح انك مرهقة ..

- إلى حد ما ..

- لقد حققنا نجاحاً طيباً الليلة والفضل يرجع إليك يا نورا . ولكن هناك شيئا يجعلنى أشعر بالضيق ..

- ما هو ؟

- لماذا لم تتحلى بالهدية التى أرسلتها إليك ؟

- اننى فى الحقيقة لا أستطيع قبولها ... حتى لا تزداد حدة المشاكل ..

لم يحاول ديناردو الإلحاح عليها كعادته بل قال بهدوء :

- اننا نعرف بعضنا البعض منذ سنوات طويلة ورغم ذلك لم أحاول تخطى حدود الأدب معك وهذا شيء طبيعى لأننى أريد أن أتزوجك .. اننى أحبك منذ فترة طويلة ..

تمالكت أعصابها وقالت :

- اننى أقدر ذلك ولكن ..

وفجأة سمعا صوتاً يقول :

- هل هى بروفة جديدة أيضاً ؟

وجد ريتشارد ينظر إليهما نظرات محمومة تنذر بالخطر فقال ديناردو بهدوء :

- لا داعى للغضب يا طومسون فالأمر لا يستحق ..

صرخ تالبوت فى وجه نورا قائلاً :

- هيا معى .. فلنغادر هذا المكان فوراً ..

ولكن نورا لم تنفذ الأمر وجمدت فى مكانها .. إن كرامتها لا تسمح لها بتقديم المزيد من التنازلات أكثر مما قدمت ..

نظر إليها ديناردو مشجعاً ثم قال لتالبوت :

- هل نسيت أننى صاحب هذا المكان ومن حقى وحدى أن أطرد منه الدخلاء ؟

فصرخ تالبوت قائلاً :

- أياك أن تقترب من نورا .. اننى أحذرك ..

قال ديناردو ساخراً :

- يبدو انك ثمل يا صديقى فمن الأفضل أن تخرج إلى الهواء الطلق ..

تقدم إليه ديناردو وتناول ذراعه فى رفق ليقوده إلى الخارج ، ولكن أعصاب ريتشارد المتوترة هيأت له غير ذلك وظن أن الرجل يريد أن يبطش به ..

وتحركت الأحداث بسرعة رهيبة ..

فما كاد ديناردو يلمس ذراع ريتشارد حتى وجه إليه الأخير صفعة هائلة ثم اشتبك الرجلان فى صراع عنيف وتصاعدت أصوات الصرخات فهرع على الأثر العاملون بالنادى والخدم وكان ريتشارد قد دفع غريمة فسقط على الأرض وارتطم رأسه بالموقد فرقد على الأرض بلا حراك ..

عندما سمعت نورا وقع أقدام خارج الغرفة هتفت قائلة :

- اهرب بسرعة .. سوف يحضر رجال الشرطة ..

اندفع ريتشارد إلى الممر بعد أن تخلص من اثنين من الخدم ولكنه قبل أن يخرج من الباب وجد أمامه شرطياً مسلحاً فانتابه الذعر والفزع وجمد فى مكانه لا يعرف ماذا يفعل .. لقد تحقق ما كان يخشاه خلال الأشهر الماضية وها هو الشرطى على وشك القبض عليه .. حاول الرجوع ولكنه وجد الخدم يركضون نحوه ولمح سيارة ديناردوفى الفناء فقفز إليها وأدار محركها وانطلق بكل سرعة السيارة إلى الشارع ..

سمع خلفه صفارات سيارات البوليس ولمح العديد من السيارات تطارده ومنها سيارة لنقل البترول ..

أطلق العنان للسيارة ونظر إلى الخلف ليتحقق من عدد مطارديه وعندما نظر أمامه وجد سيارة نقل ضخمة قادمة من الاتجاه العكسى وفى لمح البصر ارتطمت سيارته بالسيارة الأخرى ولم يشعر بشيء بعدها ..

* * * *

جرت الأحداث بعد ذلك بطريقة عجيبة وتبدلت الأمور بصورة مذهلة تفوق الخيال ..
كانت حالة ريتشارد بعد الجراحة خطيرة للغاية وبعد أيام سمح لنورا بزيارته وكان وجهه مغطى بالضمادات وكذلك يداه وأجزاء من جسده ..
وما كادت تغادر الغرفة حتى استوقفها اثنان من رجال الشرطة وقال احدهما :
ـ عفواً يا مس برنتيس .. لابد من الإجابة على بعض الأسئلة .. ما سبب المشاجرة ؟
قالت نورا على الفور :
ـ لا أعلم ..
ابتسم الرجل بدهاء وقال :
ـ كيف ذلك ؟ لقد حدثت المشاجرة فى غرفتك ..
ـ نعم ولكن الأمور حدثت بسرعة كبيرة ..
ـ أين تقيمان ؟
ـ فى فندق رذرفورد ..
ـ ومن أين جئت ؟
ـ من سان فرانسيسكو ..
ـ هل طومسون من هناك أيضاً ؟
ـ لا أعرف من أين جاء ؟
وبعد انتهاء الأسئلة أمرها بالبقاء فى نيويورك ، وعلم ان زميله عثر بملابس طومسون على بعض فواتير الفندق ودفتر توفير ما كاد يفحصه حتى هتف قائلاً :

- ما هذا ؟ ستة آلاف دولار مودعة بحسابه فى ٧ أكتوبر ؟ كيف حصل على هذا المبلغ الضخم ؟

* * * *

استغرق علاج ريتشارد أشهرا عديدة وخلالها لم يوجه رجال الشرطة أى أسئلة إلى نورا وظنت ان الأمر انتهى عند هذا الحد وانها نجحت فى خداعهم ..

كانت تشعر بالخوف والقلق على مصيرها ومصير ريتشارد الذى ارتبطت به ارتباطاً أبدياً وقررت ألا تتخلى عنه مهما حدث ، فقد فعل كل ذلك من أجلها .. تعرض لأشد المخاطر وخسر كل شيء وها هو أخيراً يرقد مصاباً بلا حول ولا قوة ..

كان عزمها أكيد على البقاء معه إلى النهاية وراحت تقوم بكل ما يمكنها للترفيه عنه وهو مازال ملفوفاً بالضمادات ولم يظهر وجه بعد ..

وأخيراً حان وقت رفع الضمادات عن وجهه ..

كانت تشعر بالقلق وهى تركب السيارة بصحبة فيل ديناردو الذى كان فى غاية الشهامة والكرم ووقف معها بإخلاص دون أن يحاول الاستفسار عن شيء ..

وعندما وصلا إلى المستشفى قالت له :

- أرجو أن تنصرف حتى لا يراك وسوف أعود به إلى الفندق فى سيارة أجرة وعفواً لأننى لن أستطيع مقابلتك بعد ذلك ..

فقد قررت أن تظل على إخلاصها لحبيبها إلى النهاية بعد أن قدم كل هذه التضحيات ، ووجدت أن أقل ما تقدمه له هو الإخلاص التام له والابتعاد عن كل ما يسبب له الضيق والأنفعال ويثر غيرته وأن تعمل على إرضائه بكافة الطرق ..

صافحها ديناردو وهو حزين ثم صعدت إلي غرفة ريتشارد فوجدته يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهو فى غاية القلق ..قالت له :

ـ كيف حالك ؟

ـ اننى أشعر بقلق شديد ..

ـ لا داعى لذلك ، فهذا شئ طبيعى لأن الضمادات بقيت على وجهك طوال الشهور الماضية ولاشك انك تشعر بالضيق منها ..

قال بشئ من التفاؤل :

ـ أرجو أن تكون الأمور على مايرام ، وأعتقد ان أحداً لن يعرفنى بعد أن أصيب وجهى ببعض الحروق والجروح ، وفى هذه الحالة يمكننى التحرك وسط الناس بحرية دون أن أخشي شيئاً فلن يعرفنى أحد ، بل ويمكننى العثور علي عمل مناسب ..

لم تنطق نورا بكلمة وجاء الطبيب وبصحبته الممرضة ورفعا الضمادات وما كاد يفعلان حتى ارتعد جسد نورا وهتفت فى أعماقها :

ـ ما هذا ؟ مستحيل ان يكون هذا وجه ريتشارد ؟ إنه شئ رهيب .. بشع ..

قال ريتشارد وهو لا يشعر بشئ من ذلك :

ـ ما رأيك يا نورا ؟.

قالت وهى تحول بصرها عنه :

ـ رائع ..

ذهب ريتشارد إلى المرآة وتأمل وجهه ثم صرخ صرخة اليمة .. فقد كان منظره بشعاً .. مشوهاً ..

حاولت نورا مواساته فقال لها بأسى :

ـ لقد تمنيت ذلك ..

ذهبت الي الطبيب لإنهاء إجراءات خروجه من المستشفى ،وبعد قليل فتح الباب وتوقع أن تكون هى نورا ولكنه وجد رجلين لا يبعث منظرهما على الاطمئنان ..

قال له أحدهما :

ـ هيا يا طومسون ارتد ثيابك ..

قال ريتشارد بدهشة : ـ من أنت ؟

ـ بوليس وسوف نصحبك معنا ..

ـ آه من أجل المشاجرة ؟

فقال الآخر :

ـ كلا .. سوف نذهب إلي سان فرانسيسكو !! .

ترى هل تذكر اسم الدكتور تالبوت ؟

وعلى الفور قال ريتشارد :

ـ يبدو انكم تعرفون كل شئ .. اننى سعيد بهذه النهاية ..

قال الرجل متعجباً :

ـ سعيد ؟ إنها المرة الأولى التي أرى فيها رجلاً سعيداً للقبض عليه بتهمة القتل ..

صعق تالبوت .. فلم يتخيل الأمر كذلك !..

استطرد الشرطى قائلاً :

ـ لقد تم العثور على بصمات مطابقة لبصماتك فى مكان الحادث ولذلك فأنت مقبوض عليك بتهمة قتل الدكتور ريتشارد تالبوت !..

وكان أعجب ما فى الأمر ما حدث بعد ذلك وجعل الرجلين فى ذهول ..

فقد انتابت الرجل نوبة عنيفة من الضحك، المتواصل !!

* * * *

كانت محاكمة عجيبة تلك التي شهدتها محكمة سان فرانسيسكو ..

ففى الظاهر تتم محاكمة طومسون بتهمة ابتزاز الأموال ثم قتل الدكتور تالبوت ، أما الحقيقة فهى ان الدكتور تالبوت يحاكم بتهمة قتل الدكتور تالبوت !!..

حضر الجلسة كثيرين مثل لوسى زوجة تالبوت وصديقه الدكتور موريان وموظف بالمصرف ونورا .. وكانت الأخيرة الوحيدة التى تعرف الحقيقة العجيبة ..

قال القاضى للمتهم :

ـ أنت متهم بقتل الدكتور ريتشارد وابتزاز النقود منه بالتهديد .. هل أنت مذنب أم غير مذنب ؟..ولأول مرة يسمع الحاضرون جواباً مثل هذا ..

فقد نهض محامى المتهم وقال :

ـ للأسف الشديد رفض المتهم التعاون معى أو تبادل الحديث فى تفاصيل القضية ولذلك أرجو أن تعفينى المحكمة من مهمتى ..

قال القاضى :

ـ مادام المتهم يرفض الكلام فهو يرفض التهمة وهذا حقه القانوني فأرجو إثبات ذلك والاستمرار فى نظر القضية ..دعى الدكتور جويل موريان بعد ذلك للشهادة فذكر لهم كيف عثر على الورقة المحترقة والتمثال المكسور وكيف ثارت شكوكه ..وبالطبع لم يكن أحداً يعرف هذه الورقة وانها كانت خطاباً إلي لوسى ولا أن التمثال وقع عندما ارتطم به بيلى سوى الدكتور ريتشارد تالبوت .. لقد تغيرت ملامح الدكتور تالبوت بصورة رهيبة وابيض شعره عقب الحادث وأصبح من المستحيل أن يتعرف عليه أحدمن الأهل والأصدقاء ..أما نورا فلم تكن تعرف كيف يفكر ريتشادر ولماذا يلازم الصمت ..وعقب ذلك ذكر موظف المصرف أنه يشك فى أن هناك عملية ابتزاز كانت تتم بانتظام للدكتور تالبوت وان المبلغ الأخير ذهب الى المجرم ..وذكر خبير المعمل الجنائى انه تم بالقرب من السيارة عليها بصمات تطابق بصمات الجانى طومسون . .

* * * *

فى اليوم التالى تم استدعاء لوسى للشهادة ..

وشعرت نورا بالحيرة وتساءلت :

- هل يحاول ريتشارد مصارحتها بالحقيقة أم لا ؟ ..كان من المحتمل أن تتعرف عليه رغم تشويه وجهه ..

وكادت نورا أن تصعق عندما وجدت ريتشارد يخفض وجهه ويتعمد تحاشى نظرات زوجته التى راحت تتأمله برهة قصيرة ، و أدركت انه لايريد لأحد أن يتعرف عليه وهذا لا يعنى الا شيئاً واحداً .. انه يريد أن يموت !! .

قال المحامى للزوجة :

- هل رأيت هذا المتهم من قبل ؟

- كلا ..لم أره على الاطلاق ! ..

وبعد انتهاء الاجراءات غادر المحلفون القاعة للتشاور ثم عادوا وأصدر القاضى الحكم ..كان يقضى باعدام المتهم !!..

* * * *

صعقت نورا عندما سمعت الحكم الرهيب ..

انها لم تتدخل فى القضية الا لاقتناعها بأن ريتشادر وفق الخطة معينة لانقاذ نفسه ، ولكنها عرفت الحقيقة فالنهاية ..انه لايريد أن يظل على قيد الحياة ..

وجدت نفسها تندفع اليه بلا دعى وتهتف باسمه ..

ولأول مرة يتحدث منذ عاد الى سان فرانسيسكو فقال لها :

- لماذا جئت الى هنا ؟ ألم انصحك بعدم المجئ حتى لاتعرض نفسك للخطر ؟..

قالت نورا باخلاص :

ـ لايهمنى ذلك ..اننى على استعداد لبذل حياتى لانقاذك فلا يمكن أن تكون هـذة هى النهاية ياريتشارد .. لابد من اعلان الحقيقة ..

قال بأسى :

ـ وما هى النتيجة ؟ أن أظل على قيد الحياة ؟..

ـ نعم ..

ـ وهل يمكنى العمل كطبيب مرة اخرى ؟ هل أعود الى أسرتى ؟..

قالت نورا :

ـ نعم وسوف يصفحون عنك ..

ترقرقت الدموع فى عينيه وهو يقول :

ـ كلا ..ان هذة هى افضل نهاية حتى لاأشوه صورتى أمام أولادى وزوجتـى ،فهـم يحتفظون لى بذكرى طيبة ..

صرخت قائلة :

ـ كلا ياريتشارد ..يجب أن تعيش ..انك انسان نبيل طيب القلب ..

كانت تظن ان بامكانها التأثير عليه بحبها ولكنها فشلت وأدركت أن الرجل لـن يتراجع عن قراره وان الصلة التى كانت بالحياة انقطعت تماماً ..

عبرت نظراته اليهاعن الحب والاخلاص وقال لها :

ـ اننى حقاً قاتل !..

ـ ولكنك لم تفعلى ..

ـ كلا ..بل قتلت رجلاً ..قتلت الدكتور رينتشارد تالبوت ..

* * * *